الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الـــتعليم العـــالي والبـــحث العلـــمي

جامعة الجيلالي بونعامة خمـــــيس مليانة



كـــــــــــلية العلوم الاجتماعية والإنســـــــــــانية

قسم العلوم الإنسانية - شـــــــــــعبة التاريخ

المقاومة الشعبية المسلحة في تونس ونتائجها (1881م – 1907م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر

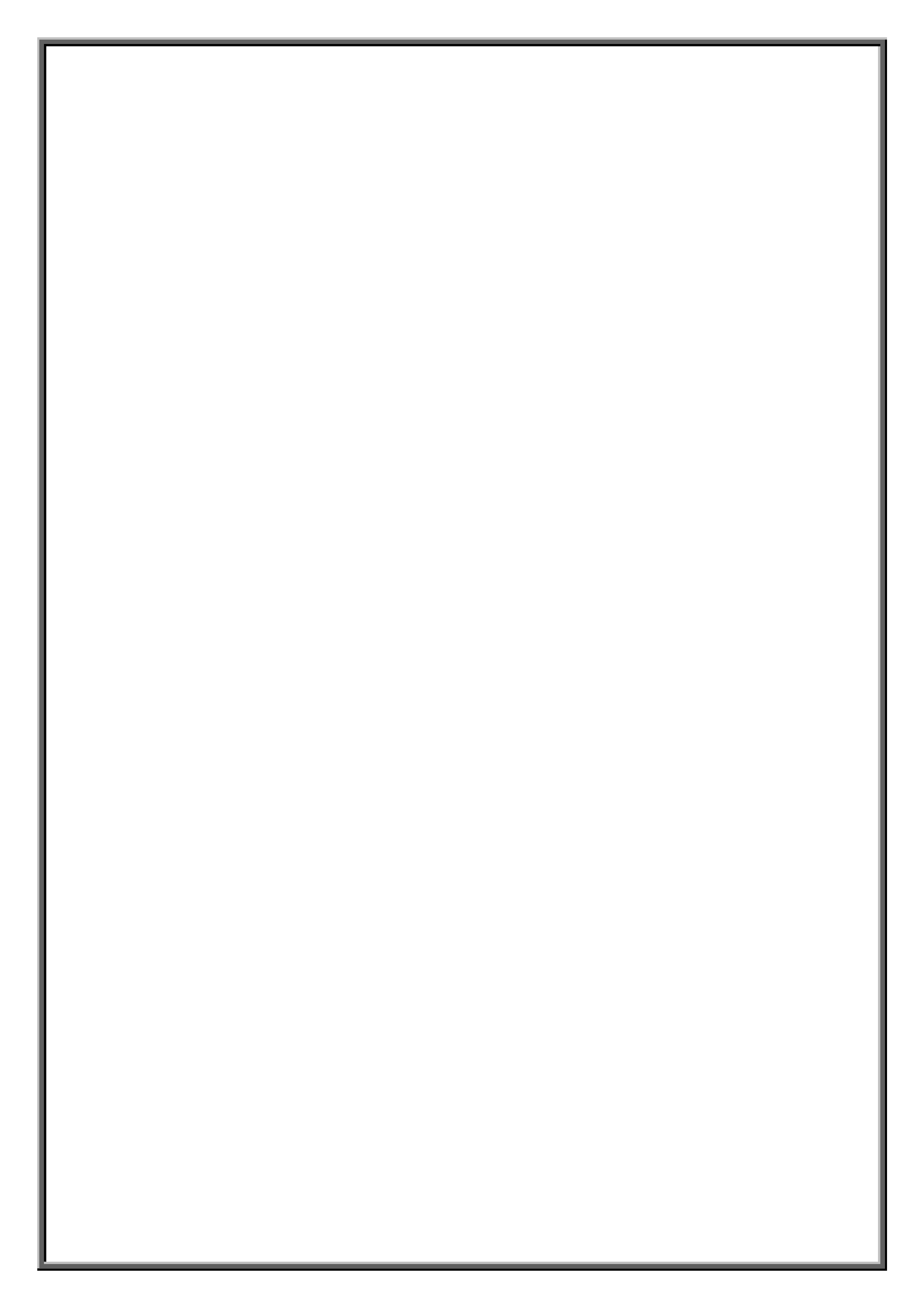
إعداد الطالبتين:

- أسماء بوصري
- ضاوية حفصاوي

إشراف الأستاذ:

أحمد بن يغزر

السنة الجامعية: 1436-1437ه الموافق ل 2015- 2016م



شكر وعرفان

قال الله تعالى: بسم الله الرحمان الرحيم ﴿ وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ الآية 07 سورة إبراهيم.

*يارب لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك، أشكرك يارب العالمين.

*إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين، إلى منارة العلم وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

*كما نتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل.

*ونخص بالتقدير والشكر الأستاذ المشرف أحمد بن يغزر الذي وجهنا بنصائحه القيمة وإرشاداته فكان مثال الأستاذ الذي تجتمع فيه صفة الأخلاق والعلم فبارك الله فيك.

*شكرا لكل من تعاون معنا في إنجاز هذه المذكرة راجين من الله عز وجل التوفيق والنجاح.

إهــــــــداء

*إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى سر تألقي ونجاحي أبي العزيز.

*إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، إلى من كان دعائها سر نجاحي، إلى شعلة الصفاء وكل الوفاء أمي الحبيبة.

*إلى رمز الحنان والاطمئنان، إلى من تطلعت لنجاحي بنظراتهم إخوتي رضوان وحنان وفاطمة الزهراء

*إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة، إياد ودعاء

*إلى من تعارفت روحي معها فتآلفت وارتقت تحت ظل الأخوة والمحبة صديقتي ضاوية

*إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إلى من جعلهم الله إخوتي طلاب قسم التاريخ سناء،أسماء،ميرة،سارة،فاطمة الزهراء،حكيمة،كريمة

أسماء

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى:

والدي العزيز الذي علمني الكفاح

في سبيل الإستمرار في الحياة

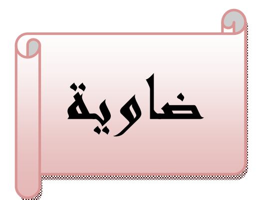
والدتي التي علمتني العطاء

لبلوغ السعادة في الحياة

إلى إخوتي وسندي في الحياة

عبد القادر، رشيد، عائشة، ف/ز

إلى صديقاتي أسماء،سناء،غنية



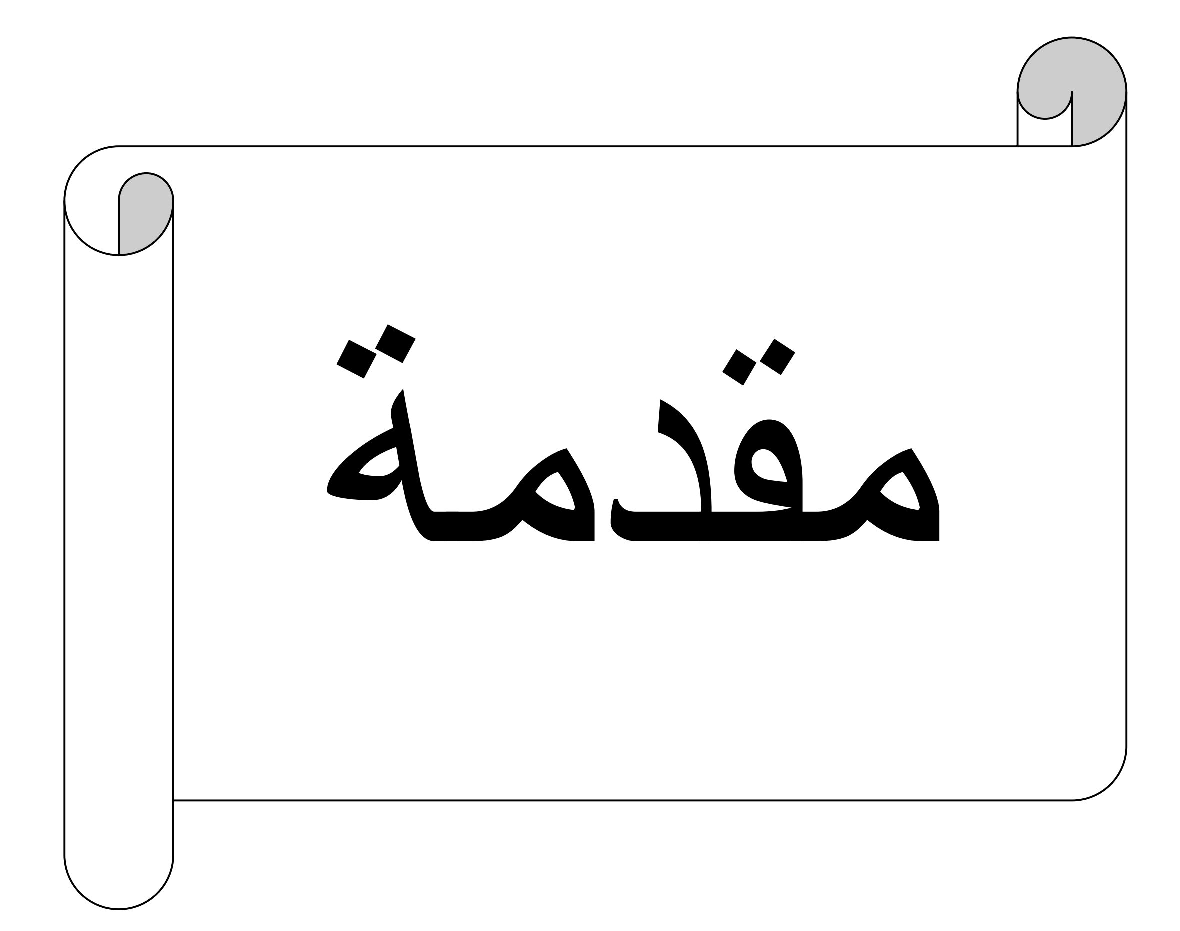
قائمة المختصرات

بالعربية:

المختصر	الدلالة
تق	تقديم
تع	تعليق
تع	تعريب
تر	ترجمة
ط	الطبعة
دط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
مج	المجلد
ج	الجزء
ع	العدد
ص	الصفحة
تح	تحقيق
م	الميلادي
ه	الهجري
ب.أ. م	البحر الأبيض المتوسط

بالفرنسية:

page	p
edition	ed


مقدمة

مقدمة

المقاومة المسلحة التونسية هي رد فعل طبيعي للتواجد الفرنسي والذي أقرته معاهدة باردو بتاريخ 12 ماي 1881م، وتم بموجبها التنكيل بالتونسيين الخاضعين للسياسة الفرنسية ، ولم تكتف بالتنكيل في حق السكان بل تعدى الأمر إلى استعبادهم واستنزاف خيرات بلادهم، وقد كانت لتلك السياسة تبعاتها على نفسية السكان الذين اهتدوا للمقاومة المسلحة ،وتميزت بعفويتها وبشكلها الانتقالي، حيث كانت مقاومة واحدة وانتشرت بالتدريج عبر مختلف جهات التراب التونسي ،ومما يدل على ذلك انضمام قادة المقاومة بالشمال بعد فشلهم إلى الساحل والوسط لمساندة المقاومة هناك ونفس الأمر بالنسبة للمقاومة بالجنوب التونسي، وقد أسندت قيادتها إلى "علي بن خليفة النفاتي"، لتفرز فيما بعد عن ظهور زعماء وطنيين آمنوا بفكرة الجهاد المقدس والاستمرار في مقاومتهم واسترجاع بلادهم.

الأمر الذي دفعنا للتطرق إلى موضوع **"المقاومة الشعبية المسلحة في تونس ونتائجها(1881م-1907م)".**

إن لهذا الموضوع حدودا ومجالا زمانيا يظهر في الفترة الممتدة ما بين (1881م،1907م)، ويعود التاريخ الأول إلى بداية الاحتلال الفرنسي لتونس وقابله ظهور المقاومة التونسية الرافضة لنظام الحماية الفرنسية، أما التاريخ الثاني فيرجع إلى ظهور المقاومة السياسية التي قامت محل المقاومة الشعبية المسلحة التي استنفذت جميع وسائل كفاحها وقد كانت هذه الفترة ثرية وغنية بالأحداث التاريخية العسكرية والسياسية بالنسبة للجانب التونسي والفرنسي على حد السواء.

وتجلت أسباب اختيارنا لدراسة هذا الموضوع نذكر منها:

- وجود دراسات سابقة أوفت المقاومة الجزائرية (كمقاومة الأمير عبد القادر) والمقاومة بالمغرب الأقصى (كمقاومة عبد الكريم الخطابي)حقها خاصة في

جامعتنا"الجيلالي بونعامة"، وقلة الدراسات السابقة بموضوع المقاومة الشعبية المسلحة التونسية.

يحمل موضوع المقاومة في طياته أهمية تاريخية تظهر فيما يلي:

- التطرق إلى موضوع يندرج ضمن الحقل العسكري وأردنا تبيان أهمية العمل العسكري في تونس والوقوف على فاعلية المقاومة الشعبية المسلحة التي لم تعر بعض الكتابات السابقة في بعض الجامعات أهمية التطرق إليها.

ومن خلال قيامنا بإنجاز هذا الموضوع،وفي حدود إطلاعنا توصلنا إلى قلة الدراسات التي تشير إلى نفس الموضوع ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- محمد المرزوقي، صراع مع الحماية.
- شايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي، وحزب الشعب الجزائري (رسالة دكتوراه جامعة منتوري، قسنطينة سنة 2006-2007).
- التليلي العجيلي،الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1936م)
- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر(1881،1956م).

في حين تطرقت هذه الدراسات للموضوع من زاوية معينة، متناولة المقاومة الشعبية المسلحة من باب التمهيد للمقاومة السياسية.

ولدراسة هذا الموضوع انطلقنا من إشكالية رئيسية تمثلت في:

- ما مدى مساهمة المقاومة المسلحة التونسية في تعطيل وتأخير نظام الحماية عبر التراب التونسي؟

وتبعتها إشكاليات فرعية:

- ماذا أضاف بقاء الباي بتونس للمقاومة؟
- فيما تمثلت المواقف المحلية والدولية، والإقليمية للمقاومة؟
- هل ظهور المقاومة السياسية يعني بالضرورة فشل المقاومة المسلحة؟

ولإنجاز هذا الموضوع قمنا بالاعتماد على خطة العمل والتي تظهر على النحو الآتي:

مقدمة، فصل تمهيدي، ثلاثة فصول رئيسية قسمت إلى مباحث تكونت من مجموعة مطالب، خاتمة.

الفصل التمهيدي: تطرقنا فيه إلى أهم الاتفاقيات التي كرست الوجود الفرنسي بتونس وعلى وجه الخصوص معاهدة باردو (1881م)، ومعاهدة المرسى (1883م)،وكذا ردود فعل المحلية للسكان التونسيين من الحماية الفرنسية.

أما **الفصل الأول**: ارتأينا تخصيصه في البداية إلى المقاومة الشعبية المسلحة (1881م) والوقوف على انتشارها بداية من الشمال التونسي مرورا بالوسط والساحل إلى غاية الجنوب التونسي.

والفصل الثاني: أشرنا إلى المواقف المحلية والدولية والإقليمية من المقاومة التونسية وعلى وجه الخصوص (موقف الباي، الطرق الصوفية، موقف الدولة العثمانية موقف المغاربة: سكان الجزائر، حكومة طرابلس).

وفيما يخص **الفصل الثالث** والأخير: أظهرنا من خلاله نتائج المقاومة بتونس،والوقوف على أهم أسباب فشل المقاومة الشعبية المسلحة على المستوى الداخلي والخارجي، وأهم بوادر ظهور المقاومة السياسية.

وقد استعنا في هذه الدراسة بقائمة مصادر ومراجع متنوعة وثرية ،نذكر من ضمن هذه المصادر ما يلي:

- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة: باعتباره مصدرا، لأن صاحبه عايش أحداث تونس في الفترة المعاصرة، ولكن وجدنا به بعض الثغرات في تطرقه للموضوع ذات الصلة بالحقل العسكري، واهتمامه بالحقل السياسي.
- الحبيب ثامر، هذه تونس: وقد استفدنا منه هو الآخر باعتباره مصدرا مهما في تاريخ تونس وكونه ابن البلد، إلا أنه أولى الأهمية للجانب السياسي.

ومن المراجع نذكر:

- محمد المرزوقي، صراع مع الحماية: ولقد استفدنا من مؤلفه أكثر من بقية المراجع الأخرى، حيث أعاننا في التعريف بزعماء المقاومة، ووصف بعض المعارك التي دارت بين الثوار التونسيين والجيوش الفرنسية، وكذا إبراز مختلف المواقف من المقاومة.
- علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس: عدنا إليه في دراستنا لمعرفة الحماية الفرنسية بتونس (1881م)، وكذلك اعتمدنا عليه في المقاومة التي انتشرت في أرجاء البلاد التونسية، بحيث خص بالذكر كل مقاومة بالتفصيل.

أما فيما يخص منهج البحث فقد حاولنا إتباع المناهج العلمية في حقل الدراسات التاريخية، وقد اعتمدنا على **المنهج التاريخي "الوصفي التحليلي"**، باعتبار أن دراستنا استدعت منا استعراض مختلف الأحداث والوقائع التاريخية حسب وقعها وتسلسلها، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي لإبراز موقف الباي من

المقاومة الشعبية المسلحة، وتبيان سلبية بعض مشايخ الطرق الصوفية من المقاومة،وفي ذكرنا لعوامل ظهور المقاومة السياسية.

وقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل في إنجاز دراستنا نجملها فيما يلي:

- صعوبة إنجاز موضوعنا في الوقت المحدد.
- حددنا في بادئ الأمر عنوان الدراسة **"ثورة علي بن غذاهم"** (1864م) ثم صرفنا النظر عنه لعدم الوصول إلى المادة العلمية ،وهذا في حد ذاته مضيعة للوقت والجهد مما جعلنا نتوجه لموضوع آخر.
- عدم قدرتنا للوصول إلى بعض الدراسات المتخصصة في الموضوع، مع العلم بأن تلك الدراسات منشورة ومن ضمنها: عدنان المنصر و محمد علية الصغير، المقاومة المسلحة في تونس، ج1، محمد الهادي الشريف، عندما تشرق الشمس من الغرب.
- صعوبة إعارة الكتب سواء من المكتبة الوطنية الجزائرية أو من المكتبات الجامعية بحجة إعارتها لأشخاص آخرين.
- نقص المادة العلمية والكتب المتخصصة في موضوعنا بالمكتبة المركزية لجامعة الجيلالي بونعامة (خميس مليانة).
- عدم وجود مصادر ومراجع إلكترونية حول الموضوع.

ومن ذلك فقد استطعنا بفضل معونة الله عز وجل التغلب على تلك الصعوبات وإنجاز موضوعنا.

الفصل التمهيدي:

الحماية الفرنسية بتونس1881-1883

المبحث الأول: الاتفاقيات التي مهدت الحماية الفرنسية على تونس

المطلب الأول: توقيع معاهدة باردو

المطلب الثاني: توقيع معاهدة المرسى

المبحث الثاني: ردود الفعل المحلية من الحماية الفرنسية

المطلب الأول: موقف الطرق الصوفية

المطلب الثاني: موقف التونسيين

المبحث الأول: الاتفاقيات التي مهدت الحماية الفرنسية على تونس

المطلب الأول: توقيع معاهدة باردو

تعد تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الاستعمار الفرنسي، وقد لقي مشروع الحماية معارضة دولية، ولأجل ذلك عمل جول فيري[1] على إنجاح هذا المشروع من خلال جذب المعارضة لصفه وذهابه إلى إقناع المعارضة الداخلية بعدم تورط الحكومة في الأعباء المالية التونسية، وتحمل الدولة المحمية نفقات الاحتلال وما إلى ذلك من إصلاحات إدارية واقتصادية تتحملها الدولة الحامية[2].

وبذلك لم يكن احتلال تونس وليد الصدفة بل كان ذلك نتيجة تحرشات مقصودة ومؤامرات دولية حيث كان مؤتمر برلين[3] المنعقد 1878م مسرحا لها[4].

حيث طرحت مسألة احتلال تونس في المؤتمر، واقترح وزير الخارجية الإنجليزي والمستشار الألماني بسمارك[5] على الحكومة الفرنسية احتلال تونس وذلك لأجل حصول إنجلترا على جزيرة قبرص، وتحويل أنظار فرنسا عن مقاطعتي الألزاس واللورين، وجاء

---

[1] جول فيري: رئيس وزراء فرنسا (1881،1883) صاحب فكرة احتلال تونس، وتأديب قبائل بني خمير ،أنظر: محمد عصفور سلمان، **"الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوروبي منها"**، مجلة ديالة،ع56 ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق 2012، ص 06.

[2] صلاح العقاد، المغرب العربي "دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى" د.ط مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص 190.

[3] مؤتمر برلين: مؤتمر دولي عقد لأجل اقتسام جزئي لممتلكات الدولة العثمانية، عقد في جوان 1878 ،جمع كل من ألمانيا،روسيا، انجلترا،النمسا،تركيا،فرنسا،ايطاليا،المجر، أنظر:عبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية، ج1 ،د.ط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ص520.

[4] عبد الرحمن ابن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936، 1945)، ج 2 د.ط،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ت، ص 147.

[5] بسمارك: (1815،1898) سياسي بروسي عمل على توحيد ألمانيا، تولى منصب المستشارية بألمانيا من1871 إلى 1890 حقق الملف الداخلي الألماني والإمبراطورية الألمانية الثانية ، أنظر: عبد الوهاب الكيالي،ج1 المرجع السابق ص 543.

على لسان بسمارك في المؤتمر: "إن الإجاصة التونسية نضجت قد حان لكم أن تقطفوها"[1].

وبعد دراسة مشروع الاحتلال ولأجل إنجاحه عملت الحكومة الفرنسية على إيجاد ذريعة لاحتلال تونس، ولم يكن ذلك غريبا عن الحكومة الفرنسية، وإذا كانت قد تذرعت بحادثة المروحة لاحتلال الجزائر فالأمر لم يختلف كثيرا عن تونس[2].

وقد ادعت دخول القبائل التونسية من بني خمير القاطنة بالجبال الواقعة على الحدود الجزائرية إلى جنوب الصحراء إلى الحدود الطرابلسية، وتوغلها داخل الحدود الجزائرية إثر اغتيال مواطن من أولاد سدرة (بني خمير) في فيفري 1881 م بسبب تعديه على شرف فتاة من قبيلة ناهد (الجزائرية) ودخلت القبيلتين في مواجهة أدت إلى تدخل سلطات الجزائر للحفاظ على الأمن بالحدود، وتدخلت الجيوش الفرنسية لقمع قبائل بني خمير للحفاظ على حدودها ما بين (31/30 مارس 1881 م).

ويذكر المحجوبي في كتابه بوجود مناوشات سجلت من قبل سلطات الجزائر حوالي 2380 حادثة ما بين (1870م، 1881م) بمعدل 200 حادثة وأكدت السلطات الفرنسية ذلك أحداث فيفري ومارس 1881 م كانت تشكل فعلا بعض الخطورة[3].

لقد إختلفت الروايات حول سبب تعدي قبائل الخمير على الحدود الجزائرية، ونجد أن "علي المحجوبي" قد أرجع ذلك الخلاف بين قبيلة خمير والتي تعدى شاب منها على شرف فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية[4] ، وهذا القول قد عارضه "علي داهش" والذي أرجع السبب إلى مساندة القبائل التونسية من قبائل بني خمير للجزائريين في مقاومتهم للمحتل الفرنسي

---

[1] خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ "الحركة الوطنية ودولة الاستقلال"،ج3، د.ط ، مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، تونس، 2005، ص17.

[2] المرجع نفسه،ص17.

[3] علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن ضو وآخرون، د.ط، دار سراس للنشر، تونس، 1986 ص 40.

[4] المرجع نفسه ، ص40.

والذي ذهب إلى ذكره بمجابهة هذه القبائل للقوات الفرنسية المرابطة بميناء بنزرت[1] التي كانت تعمل على حماية مصالحها ومصالح رعاياها في تونس[2] .

وفي حدود إطلاعنا نرجح الأخذ بالرأي الأول باعتبار "علي المحجوبي" ابن البلد، وقد أولى اهتمامه البالغ لتاريخ تونس، وعلى وجه الخصوص انتصاب الحماية الفرنسية بتونس 1881م، ووقف بالتفصيل على حيثياتها وجوانبها، وقد اتفق العديد من المؤرخين حول ماذهب إليه المحجوبي.

وبذلك فموقف "علي داهش" ضعيف بحيث اعتمد على ما ذهبت إليه الحكومة الفرنسية والتي أعطت الحادث أكثر من حجمه، فكيف للقبائل أن تمتلك قوات تستطيع بها الوقوف أمام القوات الفرنسية؟ وطابع نشاطها الرعوي يجعلنا نستبعد إمتلاكها لتلك القوات فلا حاجة لها، وبذلك يظهر إرجاع سبب تعدي القبائل إلى سبب آخر يضاف إلى السبب الأول الذي ذهب إليه المحجوبي هو تعدي قبائل خمير على الحدود الجزائرية للحصول على مصدر نشاطها الرعوي (الكلأ والماء).

وعليه لا يمكن التسليم إلى ما ذهبت إليه الحكومة الفرنسية، وادعائها دخول تونس بذريعة قمع القبائل المتمردة، فكيف تحول الأمر من قضية تأديب إلى مسألة احتلال تونس؟

كما يرجع "علي المحجوبي" أن احتلال تونس لا يعود إلى تاريخ حادثة تمرد القبائل، إنما يعود إلى تاريخ وجود الأزمة المالية بتونس التي أقامها "محمد الصادق"[3] 1869م ،والتي تألفت من ثلاثة دول: إيطاليا، إنجلترا، فرنسا ،بحيث عمل مراقبوا هذه الدول على مراقبة

---

[1] بنزرت: مدينة تونسية تقع على ميناء البحر.أ.م، أقيمت بالقرب منها قاعدة عسكرية أدت بسببها أزمة بين تونس وفرنسا،أنظر :عبد الوهاب الكيالي،ج1،المرجع السابق،ص566.

[2] محمد على داهش، دراسات في الحركات الوطنية والإتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، د.ط، منشورات إتحاد المكتب العرب، دمشق، 2004، ص.41.

[3] محمد الصادق: ابن الحسن من بايات الأسرة الحسينية في تونس، نصب بايا يوم 7 فيفري 1959، شهد عهده ثورة علي بن غذاهم 1864 م، وتوقيعه لمعاهدة الحماية، توفي أكتوبر 1882، أنظر: الشيباني بنبلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859، 1882) تق: عبد الجليل التميمي،د.ط، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات صفاقس، 1995، ص 65.

الخزينة التونسية لضمان تسديد تونس الديون المترتبة عليها بسبب جملة من المشاريع الإصلاحية التي قام بها "أحمد باي" في الجانب العسكري ،بصفة خاصة أدخلت تونس في دوامة المديونية، ولذلك عمل محمد الصادق على إعادة تنظيم أو جدولة تسديد الديون وبذلك فقدت تونس سيادتها الداخلية[1].

لأجل ذلك قام "جول فيري" المتحمس لاحتلال تونس في 4 أفريل 1881م بإعلام البرلمان الفرنسي بتخصيصه مبلغ مالي لأجل القيام بحملة عسكرية على تونس لردع القبائل، وعند سماع الباي باستعداد فرنسا للقيام بحملة على تونس عمل على إرسال البرقيات والاحتجاجات إلى الدول الأوروبية لحماية رعاياها في تونس معلنا عن احتلال تونس دون دون سابق إنذار[2].

أما في الجانب العسكري فقام بتجهيز محلة ضمت 1000 جندي و500 عسكر نظامي و500 من جيش المخزن، و5 مدافع في الأخير ،كانت نية الباي محاربة قبائل بني خمير من خلال كل تلك التجهيزات.

وعمل الباي أيضا على إرسال البرقيات للسلطان العثماني التي حملت طلبات الإغاثة وكان يكرر الباي: "لقد وضعت مصيري ومصير الولاية بأيدي الصدر الأعظم والسلطان إننا نسترحم باسم الإنسانية المساعدة من جلالتكم"...[3].

كما أردف قائلا:"إن الحكومة التونسية قد أولت شيئا من الخطورة،ودخول الجيش الفرنسي الأراضي التونسية سوف يؤدي بدون شك إلى اضطرابات بإخوانهم،وهذا من شأنه أن يفسح المجال للجيش الفرنسي بالانتشار في البلاد واحتلالها،إننا نتوقع دخول الجيش الفرنسي من يوم لأخر"[4]

---

(1) على المحجوبي، المرجع السابق، ص10.

(2) محمد عصفور سلمان، المرجع السابق، ص5.

(3) الشيباني بنبلغيث ، المرجع السابق، ص 214.

(4) محمد عصفور سلمان،المرجع السابق،ص7.

يبدو لنا من رسالة الباي للصدر الأعظم "سعيد باشا"أنه على دراية باحتلال فرنسا لتونس لكنه لم يقم أي إجراءات أو ترتيبات،بحيث كان يجد عقد مجلس استثنائي وطارئ مع وزرائه للتباحث في المسألة.

وفي حدود قراءتنا لم نلتمس عقد أي مجلس في تونس لدراسة مسألة احتلال فرنسا لتونس ما عدا عقد الباي لمجلس مع مستشاريه إلا بعد أن حلت قوات المحتل بتونس ،كما أن الباي لم يحاول تنظيم صفوف الجند وتجميع ما تبقى من الجيش.

وهذا على النقيض ما قام به باي الجزائر الذي قام بترتيبات سياسية وعسكرية قبل وصول قوات المحتل للجزائر على الرغم من كل ما لقيته ترتيبات الداي حسين من انتقادات من طرف المؤرخين.

وفي تلك الأثناء اقتصر موقف الدولة العثمانية من الحملة العسكرية الفرنسية على تونس بعقد مجلس وزاري اقترح معاقبة الباي للجناة، وقد أبلغت خارجية فرنسا المجلس بتاريخ 11 أفريل 1881 م بعدم خطورة الوضع وأن الحكومة الفرنسية عملت على إرسال قواتها إلى تونس بطلب من الباي للتعاون المشترك بين الطرفين، والحفاظ على أمن الحدود ونفي نية فرنسا في احتلال تونس وأن هدفها الوحيد الحصول على ضمانات مجدية لسلامة الحدود الجزائرية، والاتقاء على حق الباب العالي في ولاية تونس[1].

وعلى الرغم من مقترحات المجلس الوزاري التي هدفت إلى تسوية الأمور عملت السلطات الفرنسية على ضرب تلك المقترحات عرض الحائط، وجهزت قواتها لاحتلال تونس التي دخلت من الجزائر يوم 24 أفريل 1881 م وهي تؤكد على قيامها بالحملة على تونس بغرض تأديب القبائل وتوفير الأمن على الحدود الجزائرية التونسية التي قدرت حوالي 35 ألف جندي حيث نزلت بتونس بعيدا عن قبائل خمير المعول على تأديبها بقيادة الجنرال بريار (Bréart)[2] .

---

[1] محمد عصفور سلمان، المرجع السابق، ص 06.

[2] بريار: جنرال فرنسي و قائد الحملة الفرنسية الأولى على تونس في أفريل 1881 وفرض الحصار على قصر باردو أنظر: محمد عصفور سلمان، المرجع السابق، ص10.

الذي نزل ببنزرت متجه نحو العاصمة تونس وصولا إلى مقر حكومة الباي وفرضه الحصار على قصر باردو بضاحية باردو المدرسة الحربية سابقا بمعية القنصل روسطان[1] الذي سلم الباي نص معاهدة الحماية التي كان قد أعدها جول فيري مسبقا وكان على الباي توقيع المعاهدة أو عزله، وتنصيب أخيه الطبيب باي[2].

وقد اجتمع الباي بمجلس الدولة وعرضه الأمر على مستشاريه ليستطلع رأيهم حول توقيع المعاهدة، وقد تباينت الآراء واختلفت داخل المجلس بين مؤيد ومعارض لفكرة التوقيع وظهر ذلك على النحو الآتي:

1- الموقف الرسمي: تبنى هذا الموقف فكرة توقيع المعاهدة، ومر ذلك حسب ما ذهب إليه أنصار هذا الموقف هو إلحاق تونس بفرنسا بسبب المتاعب المالية، وداخل هذا المجلس

انبثاق موقف معارض تبناه "العربي زروق"[3] الذي عارض أنصار الموقف التخاذلي ودعا الباي إلى عدم الاستسلام والانتقال إلى العاصمة وإعلان المقاومة، ويظهر ذلك من خلال قول العربي زروق: "الآن لم يبق وجه لتأخير ما اتفقنا عليه أمس، وانتقال سيدنا إلى تونس وهنالك يتجمع حولك نحو ستين ألف مقاتل من أمتك، ويقضى الله بيننا"[4].

وكان جواب الباي إشارة حزينة بيده إلى العسكر المعاصر للقصر وقال:

"أتريد أن تغضب هذه اللحية بالدم"[5]

فرد العربي زروق: "يذهب رأس واحد خير من ذهاب رؤوس أمة كاملة"

---

[1] روسطان: يتودور روسطان، قائد الجمهورية الفرنسية بتونس تمت على يده عقد معاهدة الحماية 12 ماي 1881، عين وزير مقيم بتونس، وآخر قنصل فرنسي بتونس، أنظر: محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تق: حمادي الساحلي:،د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 129.

[2] الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 214.

[3] العربي زروق: (1832، 1902) مدير المدرسة الصادقية ورئيس بلدية تونس، رفض نظام الحماية الفرنسية كما عارض الباي الذي عزله من منصبه ،أنظر: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية، رؤية شعبية قومية جديدة (1830، 1986)، ط 2 دار المعارف للنشر والتوزيع، تونس، 1990، ص 24.

[4] الطاهر عبد الله،المرجع السابق،ص24.

[5] المرجع نفسه،ص24.

وفي الأخير لم يقبل الباي بما ذهب إليه العربي زروق، وأقيل العربي من منصبه جزاء عصيانه للباي.

2- موقف العلماء: ساند العلماء موقف الباي وأجازوا فتوى توقيع الباي للمعاهدة استنادا إلى أوضاع تونس التي تستوجب توقيع المعاهدة وإلحاق تونس بفرنسا.

3- موقف السكان: تجلى موقف السكان من توقيع معاهدة الحماية بالرفض وسنتطرق لذلك لاحقا[1].

لكن رغم تعالي أصوات المعارضة داخل مجلس الدولة بعدم قبول توقيع المعاهدة قرر الباي في الأخير إلغاء الاجتماع وتوقيع معاهدة الحماية التي استغرق توقيعها على أكثر تقدير يوما كاملا.

وبمجرد توقيع الباي على المعاهدة فقدت تونس سيادتها[2].

ولقد اشتملت معاهدة باردو على مجموعة من البنود يمكن إيجازها على سبيل المثال لا الحصر فيمايلي:-ضمان التعاون بين فرنسا والباي، على أسس المعاهدات والاتفاقيات السابقة.

- تحتل القوات الفرنسية مراكز معينة على الساحل وعلى الحدود الجزائرية التونسية بحيث يسهل على فرنسا ضبط الأمن.
- يزول الاحتلال عندما تتفق السلطتين الفرنسية والتونسية على أن تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي[3].

---

(1) الطاهر عبد الله ، المرجع السابق، ص ص24،25.

(2) شاوش حباسي،"**فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد فعل التونسي1881،1883**"،مجلة الدراسات التاريخية،،ع8،الجزائر،1994،ص96.

(3) للمزيد حول بنود اتفاقية باردو ،أنظر الملحق رقم 1،ص78.

المطلب الثاني: توقيع معاهدة المرسى

حرصت السلطات الفرنسية في تونس على تثبيت نظام الحماية بطريقة شرعية، مما يسمح لها بتسيير شؤون تونس الداخلية بعدها ضمنت تسيير شؤون تونس الخارجية من خلال معاهدة باردو[1].

وبمجرد استكمال الإدارة الفرنسية سيطرتها العسكرية على كامل البلاد التونسية في عهد الصادق باي عمدت إلى توقيع اتفاقية أخرى، تضمن لها تحقيق قبضتها على تونس وتسيير شؤونها الداخلية والخارجية.

لقد رفض البرلمان الفرنسي المصادقة على مشروع اتفاقية المرسى خلال 20 أكتوبر 1882

ويعود ذلك إلى اعتبار المعاهدة تضمن للحكومة الفرنسية ممارسة شؤون تونس الإدارية والمالية التي تراها ذات فائدة وذلك يتنافى مع ما جاء في معاهدة باردو[2].

لقد أولت معاهدة المرسى أمر العناية بالأقاليم التونسية بواسطة استحداث جهاز إداري وآخر تشريعي وتنظيم لإدارة المحلية، والشؤون الأمنية، والعسكرية، والخزينة العامة وفق ما تقتضيه مصالحها، كما عمدت أيضا إلى إلغاء المحاكم القنصلية الأجنبية التي كانت عائق أمام فرض السيادة الفرنسية القضائية، والحد من الامتيازات التجارية الأوروبية وأجبرت بريطانيا على التخلي عن امتيازاتها في تونس باعتبار رعاياها أصبحوا يخضعون للإدارة الفرنسية[3].

---

(1) راغب السرجاني، قصة تونس من البداية إلى ثورة2011، ط1،دار الأفلام للنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة ،1432ه، 2011م ،ص22.

(2) يونس درمونة، تونس بين الحماية والاحتلال،د.ط، دار اليقظة العربية،دار الكتابات بالدار البيضاء، دمشق،مراكش،دت ص ص، 26، 27.

(3) يونس درمونة، تونس بين الاتجاهات،د.ط ،دار الكتاب العربي، مصر، 1953، ص 71.

عملت الاتفاقية على إلغاء الوزارات التونسية السابقة وأصبح سن التشريعات والمراسيم من صلاحيات المقيم العام الفرنسي "بول كامبون"[1] وكانت هذه الأخيرة تخدم مصالح المستعمرة الفرنسية بالدرجة الأولى، كما عملت على توجيه الاقتصاد التونسي لخدمة مصالح المستعمرة ،وقد جمعت هذه الاتفاقية بين الفرنسي بول كامبون و"علي باي"[2] عن الجانب التونسي.

- إن المتعمق والدارس لاتفاقية المرسى يجد أنها اقتبست من اتفاقيات سابقة منها اتفاقية 30 أكتوبر 1882 م، التي نصت على وضع تونس تحت الوصاية[3] الفرنسية، وكذا بيان 8 جوان 1883م الذي حدد مداخيل تونس وتسوية الديون التونسية وقد تم إلغاء كل من الاتفاقية، والبيان وإحداث اتفاقية جديدة تمثلت في اتفاقية المرسى التي عملت إلى جانب تنظيم الشؤون الإدارية والعسكرية وإلغاء اللجنة المالية التي تأسست عام 1869م وعملت الاتفاقية كذلك على تحمل نفقات الحماية بشكل غير مباشر[4]

- أعدت معاهدة المرسى في باريس وصادق عليها البرلمان الذي كان قد رفضها من قبل، ولم يشارك الباي في صياغة بنودها، وقد اكتفى بالعمل على تطبيق بنودها بتطبيق الإصلاحات الإدارية والقضائية وكذا المالية التي تراها الحكومة الفرنسية ضرورية.

وبذلك انتقلت الأمور في تونس من احتلال عسكري مؤقت أقرته معاهدة باردو إلى نظام حماية غير محدود المدة أقرته نصوص اتفاقية المرسى، وإلى أسلوب الإدارة المباشرة أقره الواقع[5].

---

[1] بول كامبون:شغل منصب مقيم عام بتونس،ركز على نظام الحماية،أنظر محمد بن خوجة،المرجع السابق،ص129.

[2] علي باي:من بايات الأسرة الحسينية في تونس، نصب بايا عام1882،شهد عهده توقيعه لمعاهدة المرسى، توفي 1888م،أنظر:محمد بن خوجة ،المرجع السابق،ص133.

[3] الوصاية:هو نظام اعتمدته هيئة الأمم المتحدة بناءا على توصية الحلفاء في مؤتمر يالطا،والذي يقوم على إدارة الأقاليم التي تخضع لنظام الحماية بمقتضى اتفاقيات فردية لتنظيم شؤون أقاليم الخاضعة للوصاية،أنظر:عبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،ج7،المرجع السابق،ص292.

[4] علي المحجوبي،المرجع السابق،ص ص88،89.

[5] أحمد عبيد،التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية(الجزائر،تونس،المغرب)،ابن النديم للنشر والتوزيع،الجزائر،2010،ص29.

- لم تكتف فرنسا بما ورد في نصوص المعاهدتين بل فرضت بنودا جديدة على الباي وجعلت أوامره العدلية (المراسيم) غيرنافدة ما لم يصادق عليها المقيم العام الفرنسي وبذلك تجاوزت فرنسا حدود المعاهدتين فحلت محل الدولة المحمية[1]، وحكمت البلاد حكما مباشرا[2].

المبحث الثاني: ردود الفعل المحلية من الحماية الفرنسية

المطلب الأول: موقف الطرق الصوفية

مثلت الطرق الصوفية في فترة احتلال فرنسا لتونس أهم تنظيم يتمتع بنفوذ مادي ومعنوي وكانت القوة الوحيدة تقريبا في تونس القادرة على التصدي لقوات الاحتلال وإعلان الجهاد وظهر في تونس صنفين من الطرق الصوفية، طرق موالية للإستعمار و أخرى مناوئة له ونخص بالذكر الصنف الأول ،وكذلك لتبيان عوامل تجذر نظام الحماية في تونس.

تعددت الطرق الصوفية الموالية للاستعمار، وسوف نرد بعضها على سبيل المثال لا الحصر فيمايلي:

1- الطريقة القادرية[3]: انبثقت عن الطريقة القادرية الزاوية القادرية التي نشطت بالكاف ولقد كان لهذه الأخيرة بالغ الأثر بفضل مقدمها عبد القادر الميزوني الذي عمل على تسهيل عملية دخول الغزاة الفرنسيين إلى تونس، وما يحملنا على هذا القول هو الاستشهاد بعملية الاتصال، التي ربطت بين مقدم الزاوية و جول فيري من خلال ما ورد على لسان مقدم

[1] الحبيب ثامر،هذه تونس،تق:الرشيد إدريس،تح،حمادي الساحلي،ط1،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1988،ص29.

[2] للمزيد حول بنود معاهدة المرسى،أنظر الملحق رقم2،ص79.

[3] الطريقة القادرية: تنسب إلى عبد القادر الجيلالي بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محي الدين الجيلالي مؤسس الطريقة القادرية (471هـ/ 1078م) من الجيلان "طبرستان" من كبار رجال الإفتاء ببغداد له عدة مؤلفات فتوح الغيب...الخ، توفي (361 هـ/ 1166م) ،أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، "قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين"، ج4، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت 1980، ص 47.

الزاوية "......إن حالة التململ بدأت تظهر حول الكاف وأن الأعراب أخذوا يقتنون كميات هامة من البارود استعداد للجهاد المقدس"[1].

كما عمل الميزوني على توطيد علاقته مع سلطات الاحتلال فعمل على التقرب من القنصل روسطان ،وكان له الفضل في إنجاح الحملة الفرنسية الأولى على تونس ودخول الفرنسيين إلى مدينة الكاف 1881 م[2].

ولقد أجبر الميزوني سكان الكاف بالتخلي عن مقاومة الاحتلال ،وشكل وفد أبلغ الجنرال بريار بنجاح مساعيه في ذلك وقبل معاهدة باردو في أفريل 1881 م وقام باتصالات حثيثة مع مساعد روسطان ،وعمل على تحسين صورته قبل وصوله إلى تونس بين أوساط السكان[3].

لقد ذهب مقدم الزاوية لتبرير موقفه وقياسه بذلك بغرض الدفاع عن مصالح تونس، وذلك بدافع أيضا إيقاف المواجهة بين الطرفين للحد من إراقة الدماء بين الجانبين.

كما قام بقطع الطريق أمام الوافدين إلى زاويته، ذلك بالتنسيق مع الجانب الفرنسي، وقال فيه روسطان عندها: "تحرك أصدقاؤنا..." كما نجد شخص آخر ارتبط اسمه بالذين نسقوا مع المحتل، وهو الشيخ محمد بن شعبان أحد مشايخ الطريقة القادرية، وإمام جامع باردو سابقا

وتمثل دوره في القيام بالترحيب بقدوم القوات الفرنسية إلى تونس، وفتح أبواب العاصمة التونسية أمام الغزاة، وبرر موقفه بذهابه إلى اعتبار ذلك خطة رسمية تلقى الأوامر من الباي للقيام بذلك[4].

---

[1] التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881، 1936م)، م 3،د.ط، منشورات كلية الأداب بمنوية، تونس ،1992، ص ص، 116، 117.

[2] أرنولد قرين،" **سياسة فرنسا الإسلامية بتونس (1881، 1918)**" /،المجلة التاريخية المغربية، "للعهد الحديث والمعاصر"، ع 3، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 60.

[3] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص ص117، 118.

[4] المرجع نفسه، ص 118.

2- الطريقة الشابية: لم يختلف دور مقدم هذه الطريقة عن الطرق الأخرى في دعمه للمحتل، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة أخذت أصولها الدينية عن الطريقة الشاذلية[1] التي تدعو إلى إسقاط التدابير وعدم النظر في عواقب الأمور مستقبلا والإيمان بحتمية القضاء والقدر ،ومن هنا نجد مقدم الطريقة الشابية ابن جدوا الحاج أحمد قد تأثر بهذه الأصول.

أما فيما يخص موقفه الداعم للمحتل فيتمثل في قيامه بالحفاظ على الأمن في العاصمة تونس لتسهيل مهام المحتلين والعمل على جلب المناوئين وتسليمهم للمحتل وقمع المتمردين بالتعاون مع الجيش الفرنسي، وعين قايد بيت الشريعة من طرف الجانب الفرنسي مكافأة له[2] .

3- الطريقة السلامية: مثلث هذه الطريقة الزاوية السلامية التي تنسب إلى مقدمها "عمران بن عبد السلام الفتوري" الذي بذل مجهود محدود في مساندة المحتل واقتصر على إرجاع العربان الفارين إلى طرابلس الغرب (ليبيا) خلال السنوات الأولى للمقاومة.

4- الطريقة التيجانية: لم يختلف دور مقدم الزاوية التيجانية "الشيخ المنوبي"[3] في دعمه للمحتل حيث عمل على إرسال الرسائل، وإطلاع السلطات الفرنسية بما يجرى في تونس ويظهر ذلك من خلال إراده لرسالة إلى وزير الخارجية بباريس حيث أعرب له فيها عن شرفه في استقبال الجيش الفرنسي في بداية الاحتلال، بحيث كان دليله موصيا

[1] الطريقة الشاذلية: طريقة صوفية تنسب إلى جماعة نشأت بالإسكندرية على يد أبي الحسن علي بن عبد الله عبد الجبارين الحسين الإدريسي الشاذلي، دفن باليمن 656 هـ/1658م ،انتشر أتباع الطريقة الشاذلية بمصر والسودان ،أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ، 1996م ص 266.

[2] عرفة الشابي، رائد النضال القومي في العهد الحفصي،د.ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 156.

[3] الشيخ المنوبي التيجاني: الشيخ المنوبي سيدي صالح العمراني التيجاني الشريف مقدم الطريقة التيجانية بزاوية بوعرادة بتونس، دعم سلطات الاحتلال الفرنسي، توفي 1930/08/19، أنظر: التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 119.

إياه بالقبائل خيرا ونفس الأمر بالنسبة للقبائل وحثهم على الالتزام بالهدوء، وكذا الامتثال لأوامر الجيش الفرنسي لتسهيل مهام السلطة المدنية الفرنسية[1].

وفي حدود إطلاعنا يمكننا أن نرجع العلاقة بين مقدمي الطرق الصوفية، وسلطات الاحتلال إلى طبيعة المصلحة الشخصية التي رآها كل طرف في الآخر، بحيث نجد أن زعماء الطرق الصوفية قد تقربوا من سلطات الاحتلال بحيث رأى هؤلاء في سلطات الاحتلال المورد الأساسي لضمان استمرارية نشاطهم ،ذلك وعملوا على الحفاظ على موردهم الأساسي الذين حصلوا عليه من سلط الاحتلال (المال، والنفوذ).

بالمقابل عملت سلطات الاحتلال على تثبت أقدامها من خلال كسب الطرقيين إلى جانبهم والعمل على تحريضهم بنشر البدع والخرافات في أوساط السكان وحملهم على التخلي عن المقاومة والإيمان بحتمية وجود المحتل، وجهاد النفس بالصوم بدل قتال المحتل[2].

المطلب الثاني: موقف التونسيين

إذا كان الموقف الرسمي من انتصاب الحماية قد ترجم بالقبول وتكريس الاحتلال بفضل توقيع معاهدتي باردو والمرسى، فلم يختلف موقف الطرق الصوفية التخاذلي عن الموقف الأول الذي غطى على تواطؤ الحكومة مع المحتل وما يهمنا في هذا الصدد الوقوف على رد فعل السكان من الحماية باعتبار هذه الفئة هي الفئة الغالبة والمتضرر الوحيد من انتصاب الحماية.

- لقد تجلى موقف السكان من انتصاب الحماية الفرنسية برفض الأهالي توقيع الباي وحكومته ،وأعلنوا تمردهم ضد الوجود الفرنسي وحملوهم مسؤولية ضياع البلاد التونسية. واتحدت القبائل فيما بينها، وعملت على تناسي خلافاتها التقليدية المتوارثة[3].

- وبعد الرحيل الجزئي للقوات العسكرية الفرنسية التي شكلت الحملة الثانية على تونس التي كانت ما بين (جويلية 1881م، ماي 1882م) تنامي الشعور القومي لدى

---

[1] المرجع نفسه، ص119.

[2] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص119.

[3] الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 216.

السكان وخرج الفرسان والأعراب الذين أعلنوا العصيان ضد سلطة الباي وهاجموا الجيش الفرنسي والجيش التونسي الذي وجهه الصادق باي لمقاومة الثوار[1].

- وبذلك تفجر الشعور الوطني غضبا على أولاد حسين (أسرة الباي) الخونة الذين باعوا البلاد التونسية للفرنسيين، وتفجرت المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي، وتنادى الناس إلى الجهاد ضد عدوين اثنين في آن واحد ضد الباي وجنوده، وضد المحتل الفرنسي من جهة أخرى.

- وبذلك انطلقت المقاومة من جبال خمير لتشمل مناطق الساحل والوسط وصولا إلى جنوب الصحراء منطلق المقاومة، وفي كل مكان من البلاد ذهب سكانها للدفاع والمقاومة،وبرز زعماء وطنيون في كل مكان من جهة الكاف علي بن عمار، وجهة القيروان الحاج حسين بن مسعي[2].

- لقد نبع موقف السكان الرافض للوجود الفرنسي والمؤمن بالمقاومة استنادا إلى مجموعة من العوامل نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- تأثر التونسيين بقيام المقاومة في الجزائر كمقاومة الحاج بوعمامة بالجنوب الوهراني في صائفة 1881 م ففكر التونسيون بالقيام بعمل مماثل وإعلانهم للمقاومة.

2- رسوخ فكرة مساعدة القوات العثمانية المرابطة بطرابلس "الغرب" للتونسيين في مقاومتهم ماديا ومعنويا أو الإحتماء والإلتجاء إلى الأراضي الليبية في الأوقات الحرجة أيام المقاومة.

3- تنامي الشعور الديني لدى التونسيين الداعي للجهاد، وقد تبنت مدينة القيروان ذلك وهذا يدل على الباعث الديني في حركة المقاومة وبذلك عرفت تونس مقاومة شعبية لم تنحصر في مكان واحد ولا في شخصية معينة[3].

---

[1] أحمد عبيد، المرجع السابق، ص 171.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص 25، 26.

[3] صلاح العقاد،المرجع السابق،ص192.

الفصل الأول:

المقاومة الشعبية المسلحة بتونس

المبحث الأول: المقاومة بالشمال التونسي

المطلب الأول: بداية المقاومة

المطلب الثاني: أهم المعارك

المبحث الثاني: المقاومة بالوسط والساحل التونسي

المطلب الأول: المقاومة بالوسط والساحل

المطلب الثاني: أهم المعارك

المبحث الثالث: المقاومة بالجنوب التونسي

المطلب الأول: المقاومة في صفاقس

المطلب الثاني: المقاومة في قابس

المبحث الأول: المقاومة بالشمال التونسي

المطلب الأول: بداية المقاومة

أصبحت تونس محمية فرنسية بعدما سيطرت عليها القوات الفرنسية،وبالتالي ظن الفرنسيون أنه بمجرد خضوع الباي صاحب السلطة الشرعية على البلاد ،على اثر معاهدة باردو الموقعة بتاريخ 12 ماي1881،قد سهل عليهم مهمة الاستيلاء على البلاد، إلاّ أن سكان تونس رفضوا احتلال فرنسا للبلاد ،إذ تشجعوا على القيام بالثورة بما رأوه من تخاذل الباي أمام الغزو الفرنسي، إلا أنه لم يبق مكتوف الأيدي بل بدأت الحركات المضادة الثائرة ضد الاستعمار، فأينما حلوا واجهوا مقاومات عديدة التي انتشرت عبر البلاد منها: انتشار المقاومة في الشمال والوسط والساحل إلى غاية الجنوب ،فنخص بالذكر المقاومة في الشمال، فقد لعبت قبائل خمير وسكان الجبال دورا كبيرا في الدفاع عن البلاد فمنذ وصول السفن الفرنسية الراسية على ميناء طبرقة[1] حتى اشتعلت نيران المقاومة، كما قامت عدة قبائل تونسية كأولاد بوسعيد والحوامدة وأولاد عمر بمواجهة الاستعمار الفرنسي معلنة كذلك مواصلة الجهاد للدفاع عن تونس أيضا ضد الباي وأعوانه[2].

ما إن دخلت القوات الفرنسية تونس حتى هبّت القبائل لمقاومته فعطلت تقدمه ولم تتمكن من الاستيلاء على المدينة يوم 26 أفريل 1881 إلا بعد قصفها[3]. واعترفت بذلك التقارير الفرنسية: "استماتوا في الدفاع طوال ساعات عديدة ولم يوقفوا القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة"[4] لم تنته المقاومة بعد ذلك فقد زادت حدتها جهة جندوبة بمشاركة

---

(1) طبرقة :تقع على شاطئ البحر وبها نهر كبير تدخله سفن الكبار، وبها مرسى المراكب، أنظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية،د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 96.

(2) شاوش حباسي،"**فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد فعل التونسي(1881،1883)**"،المرجع السابق،ص96

(3) للمزيد من المعلومات ،أنظر الملحق رقم3،ص80.

(4) علي المحجوبي،المرجع السابق،ص46.

مجموعة من القبائل كل من أولاد بوسالم والشياحية وعمدون المدعمة من طرف الجنود الذين فروا بأسلحتهم من معسكر علي باي يوم 29 أفريل، فاستعدوا لحماية البلاد من الغزو الفرنسي حتى لا تسقط في أيديهم كما حدث للجزائر. واستمرت حركة المقاومة بالشمال بين القبائل حتى شملت قبائل أخرى كقبائل مقعد وهذيل حتى ماطر وبنزرت أظهرت شجاعتها في القتال، ولم تستطع القوات الفرنسية مواجهة القبائل الثائرة ضدها إلا بداية شهر جوان فقد خضع من خضع واستسلم من استسلم كما فعل أبناء مقعد فمنهم من سجن وهناك من أرغم على دفع مبالغ مالية وصلت إلى 12000 فرنك. كما افتكت السلاح من أفراد هذيل وبجاوة وسكان ماطر[1].

وفي كل مكان هب التونسيون يدافعون ويقاومون التدخل العسكري الفرنسي، حيث ظلت المقاومة مستمرة شهورا بعد انتصاب الحماية. وقد ساعد التفاهم الحاصل بين زعماء القبائل في انتظام حركة المقاومة والتأكيد على استمراريتها بعدما حاول كل من علي بن خليفة النفاتي[2] والحاج علي بن مسعي وغيرهم في بذل جهود والعمل على بناء خطة مشتركة تسير وفقها المقاومة ولتحقيق ذلك كونوا مجلس قيادي، وبعدما برزت المقاومة بين قبائل المثاليث والسواسي وأولاد سعيد وأولاد عون....الخ، اجتمعت فيما بينها رغم خلافاتها لتوحيد كلمتها وتنظيم مقاومتها واختارت علي بن خليفة قائدا لها لما يملكه من خبرة وشجاعة ، وقد أبلوا البلاء الحسن واستعدوا لحماية البلاد، لكن مع حلول شهر جوان 1881 بدأت قوة القبائل التونسية تتراجع، بعدما اضطر بعض القادة للفرار فأصبحت القوة غير متكافئة أمام قوات الاحتلال مما جعل المقاومة تنسحب، وبالتالي رأت القبائل التونسية الحل هو إعلان انتفاضة شاملة."فاستراتجيتهم مبنية على منع القوات الاحتلال من حصار مدينة صفاقس من جهة البحر لقطع الطريق أمام هؤلاء للتوغل داخل

---

[1] علي المحجوبي،المرجع السابق،ص47.

[2] علي بن خليفة(1807 -1884):أحد أبطال المقاومة التونسية ضد الحماية،من عرش نفات ،أعلن الثورة ضدالباي والحماية،شارك في عدة معارك أهمها معركة صفاقس،أنظر:محمد المرزوقي ،صراع مع الحماية،د.ط ، دار الكتب الشرقية ،تونس،1973،ص185-194.

البلاد وهذا ما دفع علي بن خليفة التوجه لصفاقس والتخطيط للمقاومة"[1]، وهكذا أكدت المقاومة التونسية في الشمال رفضها للوجود الفرنسي معلنة حماسها في كل مكان وتنادي الشعب بأصواتها الثورة والجهاد "إن الصادق باي باع الوطن للرومي فاحلموا السلاح في وجهه ووجه أعوانه واطردوا الرومي من البلاد"[2]

وهذا ما تميزت به جل القبائل التونسية التي أطلقت شرارة المقاومة المسلحة معلنة استعدادها لمقاتلة العدو الفرنسي أينما كان لاسترداد البلاد من يده[3].

المطلب الثاني: أهم المعارك

بعدما تفجرت المقاومة المسلحة بتونس ضد الحماية واصل السكان الجهاد دفاعا عن الوطن حيث دارت العديد من المعارك ضد عدوّين في آن واحد: ضد الباي وأتباعه وضد المحتل الفرنسي فكانت الاشتباكات متتالية أهمها:

1_ معركة بن بشير:

"وقعت يوم 30 أفريل 1881م، أسفرت عن استشهاد حوالي 150 تونسيا نتيجة تفوق الفرنسيين في ميدان المعركة لاستخدامهم أسلحة متطورة كالمدفعية الثقيلة، وعلى الرغم من سقوط العديد من القتلى والجرحى في المعركة إلا أن التونسيين لم يستسلموا واستمروا في مقاومتهم وأعلنوا صمودهم حتى النهاية ضد الأعداء ،وتواصلت المعارك بالشمال التونسي خاصة بعدما عزرت فرنسا قواتها جهة بنزرت مع القائد العام بريار، واستمر الاحتلال في كل من جهتي ماطر وباجة شهر ماي 1881م بعدما رأت عدم تكافئ القوة المسلحة لدى التونسيين"[4].ونرجع ذلك إلى نقص الإمكانيات القتالية وعدم التوحد لإعلان مقاومة واحدة بين التونسيين،وهذا ليس السبب الوحيد الذي يمكن دمجه ضمن أسباب

---

[1] شايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934-1954) دراسة مقارنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر(غيرمنشورة)، إشراف: عبد الرحيم سكفالي،قسم التاريخ، ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة منتوري، قسنطينة،نوقشت(2006،2007) ص35،36.

[2] محمد المرزوقي، المرجع السابق،ص91.

[3] المرجع نفسه،ص91.

[4] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص ص23،24.

فشلهم في هذه المعركة،وإنما يعود إلى عدم وقوف الباي إلى جانب المقاومين أوتلقي مساعدات خارجية بعدما أصبحت الدولة العثمانية عاجزة عن تقديم أي دعم لصد العدوان الفرنسي.

2_ معركة بيرنة (بنزرت):

"تصدت المقاومة جهة الشمال والشمال الغربي، فما إن سقطت مدينة باجة حتى توجه الجنرال لوجيرو إلى ماطر لمحاربة بعض القبائل التي عرقلت مسارهم كقبائل مقعد التي بقيت تكافح بالرغم من الظروف الصعبة التي واجهتها اجتمعت فيما بينها، وجرت معركة حامية في بيرنة جهة بنزرت مستخدمة أسلحة حربية أرهقت الجيوش الفرنسية. كما انتشرت معارك أخرى شمال البلاد التي وقعت في كل من عين غلال وسيدي فتح الله ووشتاتة وماطر إلاّ أنها لم تستطع صد العدوان الفرنسي لعدّة أسباب جعلتها تتراجع إلى الوراء، أهم الأسباب والدوافع للتراجع مايلي:

-ضعف إمكانيات القبائل واختلافاتها العصبية والسياسية.

-التنافس على الزعامة ونقص أسلحتها.

-تفشي الخيانة لدى بعض الأعيان أبرزهم(محمد وزمال من بني هذيل والخليفة محمد بن محمد القلعي من ماطر...)[1]".

3 _ معارك أخرى: برز العديد من أبطال المقاومة التونسية في ميدان المعارك العنيفة ضد الفرق الفرنسية التي انتشرت في كل مكان أواخر عام 1881، وانتشرت معارك أخرى جهة سوسة وقبائل نفات وجلاص وغيرهم، ولم تهدأ المعركة بل ساعدهم في ذلك سكان الساحل بعدما أعلنوا انضمامهم، "وقام الهمامة وأولاد يعقوب من نفزاوة بغارات خاطفة على مراكز القوم[2] بالتراب الجزائري، كما قام الفراشيش بغارات كذلك على منطقة تبسة من التراب الجزائري، كما عقد زعماء القبائل من بني يزيد ونفات وأولاد

---

(1) زهير الذوادي،الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي،د.ط، دار سراس للنشر، تونس،1995،ص23.

(2) القوم: فرقة عسكرية من الأعوان المحليين يحتفظون بزيهم العادي ويركبون المهاري، أنظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 113.

بوسعيد والمثاليث والسواسي اجتماعا مضمونه الاتفاق أمام الضغط الذي مارسه الفرنسيين الانسحاب إلى طرابلس"[1]

"كما شنت معارك أخرى في عدة جهات من البلاد عطلت الجيش الفرنسي شمال شرقي الحمامات وذلك في يومي 26 إلى 29 أوت حيث تشجعت على المقاومة بأسلوب الكفاح المسلح"[2]. "وفي 30 سبتمبر أشعل المقاومون النار في محطة وادي الزرقاء، كما هوجمت الفرق العسكرية الفرنسية بتستور نتج عن ذلك اختلال موازين القوى لدى الفرنسيين وتراجع دورهم أمام شجاعة وصمود المقاومين منذ بداية الاحتلال وأعلنوا بصفة رسمية الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي"[3].

---

[1] محمد المرزوقي،المرجع السابق،ص ص112،113.

[2] للمزيد من المعلومات ،أنظر الملحق رقم4،ص81.

[3] أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956) تع: حمادى الساحلي، ط1، الشركة الوطنية التونسية للتوزيع، تونس 1986م، ص 34.

المبحث الثاني: المقاومة بالوسط والساحل التونسي

المطلب الأول: المقاومة بالوسط والساحل

احتضنت القرى والجبال المقاومة التونسية والتي كانت انطلاقتها من الشمال لتنتقل إلى الوسط والساحل التونسي.

أ- المقاومة بالوسط والساحل:

امتدت المقاومة بالوسط والساحل، وشملت أيضا ضواحي العاصمة التونسية،وضمت حوالي 500 فارس من سكان جلاص، و 200 جندي من المشاة التابعين لعلي بن خليفة النفاتي في 17 جويلية 1881 حيث رابطت هذه القوات بمكان يبعد عن تونس العاصمة بحوالي 10 كيلومترا، وقام المقاومون بشن الهجوم على الضيعات الفرنسية[1].

" وبعد انتهاء الثوار من مرحلة التعبئة قام هؤلاء بمنع جيش الاحتلال من التقدم نحو الوسط والساحل، وفي 5 أوت 1881 غادر الثوار من قبيلة جلاص، ومن القيروان متجهين نحو الشمال، وأغاروا بضواحي باردو على قطيع من الإبل يملكه الباي محمد الصادق، الذي اتهمه الثوار بالاستسلام والتواطؤ مع الاحتلال، وانسحاب المقاومون لنداء الحاج بن مسعي"[2] كما هبت جموع غفيرة من جلاص بقيادة علي بن عمارة[3]، ومن الهمامة ورياح للتصدي لقوات الاحتلال ومنعها من التقدم إلى مدن الساحل والوسط، وقد تمكن المقاومون من زعزعة صفوف المحتل من خلال شن المقاومون ضربات ضد صفوف المحتل لمدة أربعة أيام متتالية من 26 إلى 29 أوت 1881[4].

---

(1) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 35.

(2) الحاج بن مسعي: الحاج حسن بن مسعي من قبيلة جلاص، قاد المقاومة بالوسط والساحل التونسي، من حماة القيروان أنظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 132.

(3) علي بن عمارة:(1840،1881) علي بن عمارة الجلاصي، ولد بسيدي عمر بقبيلة جلاص، قاد المقاومة بالوسط والساحل التونسي، ارتبط اسمه بمعركة المقرن ومعركة وادي لايا، توفي أكتوبر 1881، أنظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 227.

(4) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص 50،51.

وقبل ذلك بشهر، تحرك أولاد بوسعيد في 25 ماي بالإغارة على مقاطعة الهنشير النفيضة الذي امتلكته الشركة المرسيلية للقرض، فهاجموا أعوانها، وحملوهم على الفرار إلى الحاضرة وهاجم المقاومون الجاليات الإيطالية والألمانية ،واستهداف البنية التحتية للعدو إغارة على مصالحهم[1].

ويظهر لنا أن تكثيف المقاومين لهجماتهم على مقاطعة الهنشير حسب ما ذهب إليه "علي المحجوبي"على أن هدف المقاومين كان يرمي إلى ضرب استقرار الاقتصاد الفرنسي،حيث نجد أن الفرنسيين استثمروا تلك الضيعات،وعلى وجه الخصوص الضيعة النفيضة الواقعة بين تونس وسوسة، وكانت عائداتها تعود للشركة المرسيلية للقرض،وقد حصل على تلك الضيعة وغيرها من الضيعات من الوزير خير الدين التونسي الذي باعها للفرنسيين قبل انتصاب الحماية،ونفس الأمر للوزير مصطفى خزندار[2]

"وقد انقضى المقاومون على المعسكرات التابعة لكتيبة المقدم "كوريار" المرابطة ببئر حفيظ، وقاموا أيضا في 28 و29 أوت 1881م بالتصدي للقوات الفرنسية بمنطقة الأربعين بعد معركة ضارية استمرت من منتصف الليل في الرابعة صباحا، وكان الوقف لصالح قوات المقاومة ولذلك واصل التونسيون مطاردة كتيبة "كوريار" التي تراجعت في الأخير،وباعتراف السلطات الفرنسية نفسها فإن المقاتلين التونسيين قد جابهوا العدو بكل بسالة،وقد أسفرت المقاومة بالوسط والساحل عن اعتراف الفرنسيين بقوة المقاومين، ما يدل على ذلك تمكن المقاومون من عرقلة زحف القوات الفرنسية داخل البلاد ولو لفترة وجيزة، مما أجبر "كوريار" على الانسحاب نحو حمام الأنف بضاحية تونس العاصمة"[3].

وقد استمر المقاومون في مواصلة الهجوم على القوات الفرنسية ،ففي شهر سبتمبر1881م قامت قوات من جلاص، والهمامة، ورياح، وأولاد سعيد وغيرهم من المقاومين بقيام بمناوشات ضد الجيش الفرنسي بمنطقة زغوان، "كما خرجت مدينة زغوان

---

[1] خليفة الشاطر واخرون،المرجع السابق،ص26.

[2] علي المحجوبي،المرجع السابق،ص33.

[3] المرجع نفسه ، ص 51.

من قبل جيوش الاحتلال خلال يومي 11 و12 سبتمبر وقام الجنرال "صاباتيسه" بإيقاف أعيان مدينة زغوان واحتفظ بهم كرهائن وفرض على سكانها غرامة تقدر بــ 200 مكيال من الشعير و100 رأس بقر و200 خروف، وذلك بسبب تواطئ هؤلاء مع المقاومين ضد سلطة الاحتلال وأي تأخير في دفع الغرامة يترتب عنه قتل الرهائن في غضون 48 ساعة"[1].

وقد عمد المقاومون إلى تغيير خطتهم بسبب السياسة الفرنسية التعسفية الممارسة ضد سكان مدينة زغوان، فتخلوا عن طريقة الهجوم المباشر واكتفوا بمراقبة المسالك المؤدية إلى مدينة القيروان لمنع قوات الاحتلال من التقدم نحوها، كما عمل المقاومون بالتنسيق مع سكان جلاص بقيادة الحاج حسين بن مسعي على وضع قوات في الطريق الرابط بين مدينة زغوان، القيروان ،وقام أولاد إدير وجلاص وفرق من أولاد سعيد بتجنيد قوات من سوسة والقيروان بقيادة علي بن عمارة الجلاصي، وعملت مجموعة من المقاومين من جلاص والهمامة والفراشيش وماجر بمراقبة الطرق التي تسلكها قوات الاحتلال التي يحتمل زحفها على مدينة القيروان من مدينة تبسة بالجزائر[2].

ب -طبيعة المقاومة بالساحل:

لقد اختلفت المواقف وتباينت بالنسبة لموقف سكان مدن الساحل في الانضمام للمقاومة أو البقاء على طاعة حكومة الباي التي أعلنت خضوعها لسلطات الاحتلال، ولذلك انقسمت مواقف سكان المدن الساحلية إلى مايلي:

1_ الفئة الأولى: المدن الساحلية وقد انضم أفرادها للمقاومة نذكر من بينهم: جمال المنزل زاوية، قنطش، الحمامات، القلعة الكبرى، القصور، سيدي سلوان....الخ.

2_ الفئة الثانية: رفضت هذه الفئة من سكان مدن الساحل الانضمام للمقاومة، وأعلنت ولائها للأسرة الحسينية المستسلمة[3]، ومرد ذلك طبيعة نزعة الحضر بالمدن في ميلهم

---

[1] علي المحجوبي،المرجع السابق،ص51.

[2] المرجع نفسه ،ص52.

[3] الشيبابي بنبلغيت،المرجع السابق،ص221.

للسلطة الحاكمة والابتعاد عن استخدام القوة والدخول في المواجهة والجنوح إلى حل المشاكل بالطرق السلمية والامتثال لأوامر السلطة باسم الباي الداعي كافة السكان إلى الهدوء بالإضافة إلى أن معظم سكان مدن الساحل: (سوسة، المنستر، المهدية) الذين استسلموا لقوات المحتل، بحيث نجد معظم سكان هذه المدن الثلاث كانوا من كبار التجار وكانوا على يقين تام بأن دخولهم في ميدان الصراع منذ البداية غير متكافئ بالنسبة للجانبين وسوف يكون النصر حليف للقوات الفرنسية ولذلك انصب تفكير سكان المدن إلى ضرورة الحفاظ على مصالحهم وممتلكاتهم فقط، ويعود تقعس هؤلاء أيضا عن المقاومة خوفهم من اعتداءات الأعراب من البدو ونهبها لممتلكاتهم في حالة حدوث المواجهة مع جيوش الاحتلال بسبب أوضاع الأعراب الاجتماعية من فقر وغيرها بسبب المقاومة وتبعاتها[1].

3_ الفئة الثالثة: لم تشارك هذه الفئة في المقاومة، ولكنها لم تستطيع منع أبنائها من المشاركة في الانضمام للمقاومة ومن الذين شاركوا في المقاومة كانوا من الجند النظامي للباي محمد الصادق،ويتضح لنا أن انضمام فصائل من الجيش النظامي (جيش الباي) للمقاومة لم يكن ليحدث أي فارق على اعتبار أن ذلك الانضمام لم يتدعم بالعتاد الحربي أو التنظيم العسكري، وما زاد من صعوبة فاعلية الجند بالانضمام للمقاومة هو أن عائلاتهم كانت على صلة بالباي،نهيك عن الإغراءات وشراء فرنسا لضمائر السكان بتخليهم عن المقاومة ،ونرجح بأن الأمر طال صفوف الجيش المنشق عن الباي.

لذلك نلاحظ بأن المقاومة في مدن الساحل لم تكن بنفس الفاعلية بمدن الوسط، واقتصرت المقاومة في الساحل على بعض الثوار وما دار منها كان في أطراف الساحل حول القلعة الصغرى، إلا أن جنود الساحل الذين فروا من جيش الباي كان لهم دور بارز في المقاومة حتى في المدن الخاضعة لأوامر الحكومة، وقد تجمع الجنود الفارين مع فرسان القبائل حول القلعة الصغرى لمنع القوات الفرنسية من الدخول للساحل ودارت معارك ضيقة نشط

(1) علي المحجوبي،المرجع السابق،ص56.

فيها هؤلاء الجنود أشهرها: معركة "وادي لايا" التي استشهد فيها القائد علي بن عمارة الجلاصي وزعماء آخرون من الساحل، مما اضطر الثوار والجنود إلى الانسحاب تحت ضغط القوات الفرنسية المدعمة واكتفوا بالدفاع عن مدينة القيروان[1].

ج- المقاومة بمدينة القيروان:

لقد كان الفرنسيون على دراية بأهمية مدينة القيروان بالنسبة لسكان باعتبارها مدينة إسلامية نادت للجهاد، وقد أجل الفرنسيون الدخول إليها وذلك بإجرائهم خطط مسبقة لاحتلالها.

ولذلك دخلت 3 فرق إليها من جهات مختلفة تتمثل في:

1-فرقة تحركت من زغوان.

2-فرقة جاءت من سوسة بعد قمعها لثوار القلعة الصغرى.

3-فرقة جاءت من الغرب تجمعت وجدانها في الجزائر من تبسة[2].

كانت المقاومة في هذه المدينة مقاومة جهادية، حيث عمل المقاومون على مواجهة جيوش الاحتلال بكل قوة بعد إدراكهم مدى خسارة المقاومة في الشمال لمواقع كثيرة منها مدينة زغوان ومدن في الساحل وصفاقس في الجنوب أمام القوات الفرنسية، لذلك نجد سكان هذه المدينة لم يقاوموا جيوش الاحتلال ولم ينضموا للمقاومين وذلك حفاظ منهم على بقاء المعالم الإسلامية لهذه المدينة.

ولكن رغم المقاومة التي أعلنها الثوار إلا أنه تم الاستيلاء على مدينة القيروان عاصمتهم فسيرت إليها ثلاث فيالق،الأولى من تبسة، والثانية من تونس، والثالثة من سوسة وحوصرت المدينة بفضل تلك الفيالق الثلاث مما أجبر المقاومون على التفرق والفرار نحو الواحات الجنوبية، وبعضهم رحل إلى طرابلس، وعند وصول قوات المحتل وجدت

---

[1] الشيباني بنبلغيث،المرجع السابق،ص221.

[2] المرجع نفسه،ص222.

المدينة بذلك خيالة واستسلم من بقى من أهلها بدون مقاومة بتاريخ 27 أكتوبر 1881 م[1].

وإذا كان سكان القيروان قد استسلموا فإن سكان جلاص وأولاد عيار والهمامة ثاروا مع بعض من سكان القيروان ضد محمد المرابط[2] المتواطئ مع قوات الاحتلال.

وبقيت المقاومة محدودة مقاربة بقوات الفيالق الثلاث، مما جعل الثوار يسلمون القيروان لمحمد المرابط الذي سلمها هو الأخر لقوات الاحتلال[3]، ويقف "محمد المقداد الورتتاني" بالتنويه على دعم محمد المرابط لقوات المحتل بقوله:

"تلطف قبولهم وتطمئن النفوس وطاعة الدولة المحمية، وناوشوا الجنود قبل وصولها للقيروان، ونخص الطرف الذين أغاروا منهم على أنعام السكان في ساحة القيروان".

وبعد استيلاء جيوش الاحتلال على المدينة قاموا بإخلائها لمنع أي حركة جهادية في المستقبل، وعملوا على الاهتمام بالجنوب التونسي أين أقاموا مراكز للقيادة العامة بالواحات الجنوبية[4].

وعلينا التنويه أنه من أسباب استسلام سكان القيروان بتاريخ 26 أكتوبر1881م يعود إلى محمد المقداد المرابط عامل القيروان وجلاص فهو المسؤول الرئيسي عن استسلامها بحيث عمل على بث الخوف في قلوب السكان، وما ساعده على ذلك قدوم الجنرالات إلى القيروان بخبر احتلال مدينة الكاف، وبذلك عمل محمد المقداد على سجن كبار تجار القيروان وأمر بسجنهم، حتى لا ينظموا للمقاومة، وإجبار سكان القيروان على الاستسلام وقد نجح في مسعاه[5].

---

[1] صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 193.

[2] محمد المرابط: عامل في القيروان وجلاص، سافر مع أحمد باي إلى فرنسا 1846، عزل عن منصبه من طرف أحمد باي وصودرت أملاكه، ثم أعاده محمد الصادق باي إلى منصبه عامل القيروان وجلاص، أنظر: أحمد الطويلي، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس،د.ط، سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992، ص 76.

[3] للمزيد من المعلومات،أنظر الملحق رقم4،ص81.

[4] أحمد الطويلي، المرجع السابق،ص76.

[5] المرجع نفسه ،ص75.

المطلب الثاني: أهم المعارك بالوسط والساحل التونسي:

عرفت منطقة الوسط والساحل التونسي قيام عدة معارك نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر أهمها:

1-معركة حيدرة:

قاد هذه المعركة مقاومين من ماجروالفراشيش والزغالمة،وقاد هؤلاء 2000 مقاتل جمعت قوات من الخيالة، وأخرى من المشاة بقيادة الحاج الحراث[1] إلى جانب مجموعة من القادة الذين عملوا على مواجهة قوات الجنرال فورجيمول في معركة حيدرة التي استمرت يوما كاملا يوم17 أكتوبر 1881 بالساحل الغربي التونسي.

كانت نتائج هذه المعركة لصالح الجانب الفرنسي حيث كبدت الجانب التونسي خسائر في الأرواح ذهب ضحيتها عشرات من القتلى وعدد من الجرحى[2].

2-معركة الروحية:

وقعت هذه المعركة بالوسط التونسي بتاريخ 23 أكتوبر 1881، وقد أبدى المقاومين في هذه المعركة مقاومة عنيفة ضد قوات فورجيمول قادها قادة من أولاد عيار والفراشيش وجلاص والهمامة والزغالمة ،وقادة وآخرون.

كانت نتائج المعركة لصالح الجانب التونسي حيث كبدت القوات الفرنسية خسائر بشرية قدرت حوالي 25 قتيل، وعدد من الجرحى[3].

[1] الحاج الحراث(1815،1890)الحراث بن محمد بن صالح بن مبارك بن أبي الطيب بن محفوظ، من قبيلة الفراشيش المعروفة بالقصرين، عين عاملا على الفراشيش من قبل الصادق باي 1870، قاد المقاومة بالساحل التونسي، أنظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص163.

[2] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 128.

[3] المرجع نفسه، ص 128.

3-معركة كدية الحلفاء:

جرت أحداث هذه المعركة بالوسط التونسي، ووقعت بتاريخ 25 أكتوبر 1881 حيث أظهر السكان نيتهم في مقاومة قوات الاحتلال بدون هوادة، ولكنها لم تكن نتائجها لصالح الجانب التونسي حيث نتج عنها 150 قتيلا في صفوف الجيش التونسي[1].

(1) التليلي العجيلي،المرجع السابق، ص 129.

المبحث الثالث: المقاومة بالجنوب التونسي

المطلب الأول: المقاومة في صفاقس

بعد فشل المقاومة في كل من الساحل والوسط انظم مقاوميها إلى الجنوب لتنظيم صفوف المقاومة بصفاقس.

"عرفت مدينة صفاقس عدة اضطرابات خلال شهر جوان 1881م وتحركات شعبية واسعة بالاشتراك مع قبيلة المثاليث، فكانت الشائعات الرائجة حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد زادت الأوضاع تعقيدا في الداخل، كما أصاب الفزع لدى الجاليات الأوروبية وأعيان المدينة خشية من عمليات النهب التي يقوم بها الأعراب، ولم يكن لجوء عائلة نائب القنصل الفرنسي بصفاقس في شهر جوان إلى باخرة البشير[1] التونسية، وأمام تأزم الأمور بالنسبة للجاليات الأوروبية أسس القايد حسونة الجلولي مع بعض الأعيان المدنيين لحمايتهم من غضب السكان وصيانة المدينة من الأعراب[2]" ولنفس الغرض أرسلت السلطات الفرنسية باخرة الشكال إلى صفاقس يوم 27 جوان 1881 مما زاد في هيجان السكان، "وفي اليوم الموالي قام السكان بالاشتراك مع قبيلة المثاليث لمهاجمة قنصلية فرنسا وأطاحوا بالعلم الفرنسي وضربوا نائب القنصل الفرنسي "ماتيي"،وفي 29 جوان هاجم الثوار القايد حسونة الجلولي لتواطئه مع الفرنسيين ولم ينج أمام غضب السكان إلا عندما غادر واحتمى بزاوية "سيدي علي الكراي" قبل أن يلتحق سرا في الفاتح من جويلية بمعونة أعيان المدينة بإحدى سفن الأسطول الفرنسي التي أرست في صفاقس"[3] وتأسست بهذه المدينة لجنة للدفاع عنها تحت رئاسة محمد الشريف ضابط المدفعية بحامية هذه للمدينة وكان عدد أعضائها يضم50 عضوا يتألف العضو40 من سكان صفاقس الأصليين و10أعضاء من المثاليث، وانتظمت هذه الأخيرة إلى المقاومة مع

---

(1) البشير: وهي باخرة قديمة من بقايا أسطول الباي، أنظر: شايب قدادرة، المرجع السابق، ص 35.

(2) المرجع نفسه،ص ص34،35.

(3) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص48،49.

القائد محمد معتوق بمساندة الشيخ محمد كمون[1] ،كما عزز حركة المقاومة عدد كبير من الأعراب[2] ووصل علي بن خليفة النفاتي إلى صفاقس بداية من شهر جويلية 1881م ،فجرت محادثات متواصلة بينه وبين قبائل المثاليث والسواسي وجلاص وغيرهم،وصار هذا الأخير القائد الفعلي للمدينة باعتراف سكانها بقيادته وسلطته عليهم، "كما طرحت عليه لجنة الدفاع كل المسائل والأمور التي تخص المدينة بعدما رأوا في الرجل الوحيد القادر على حماية أملاكهم من عمليات النهب التي ربما يقوم بها البدو بصفاقس ضواحيها"[3].

وانتظمت بها حركة المقاومة تحت رئاسة علي خليفة ومحمد معتوق ومحمد الشريف[4] واشتدت شرارة الثورة على سلطة الباي الموالية للفرنسيين من جهة وضد الحماية الفرنسية من جهة أخرى، وهب السكان يقاوم ويدافع بصرامة، فاضطرت فرنسا أمام الثورة المندلعة إلى إرسال أسطولها[5]، وشرعت في ضرب المدينة بقنابلها المدمرة، إلا أن إرادة السكان لم تنته أمام هذا الهجوم بل زاد حماسها كقبائل جلاص والهمامة والمثاليث مع مائتي فارس من قبيلة المثاليث برئاسة علي بن خليفة باشتراك كل من ابنه راشد وأخوه صالح الذين شاركوا جميعهم في معركة صفاقس واستمر الأسطول الفرنسي في تهديم أسوار المدينة، وفي 11 جويلية قامت فرنسا بتعزيز قوات جديدة لقصف المدينة التي لم تسقط إلا بعد أن دمرتها بقنابلها التي كانت ترمي بها على أسوار المدينة، وأصبحت الظروف صعبة للسكان أمام هجمات العدو المتكررة، بالرغم من هذه الصعوبات التي بقوا يواجهونها أمام ضربات العدو، إلا أنها صدمت وقاومت الهجومات

---

[1]محمد كمون (1827-1901) من أبناء مدينة صفاقس باشر الأعمال التجارية والفلاحية، شارك في معركة صفاقس كماهاجر مع عائلته إلى طرابلس على إثر كارثة الوضع وبعد عودته أصيب بمرض حتى توفي، أنظر: محمد المرزوقي المرجع السابق، ص 271, 274.

[2]شاوش حباسي،"**فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد فعل التونسي(1881،1883)**"،المرجع السابق،ص97.

[3]علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 49.

[4] زهير الذاودي،المرجع السابق، ص 23.

[5]شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص 311.

الفرنسية[1]،استمر الاسطول الفرنسي في قصف المدينة وتبع احتلالهم لصفاقس احتلال مدن أخرى كسوسة في 11 سبتمبر، وفي 6 أكتوبر احتلال العاصمة وقفصة، واحتلال مدينة القيروان[2] التي أعلنت الثورة ضد الاحتلال الفرنسي مما دفع بفرنسا إلى إرسال الجنرال "سوسييه" من الجزائر للقضاء على الثورة المندلعة بالقيروان التي هددت كيان فرنسا في تونس ودخلها منتصف شهر أكتوبر 1881[3] إلا أنها سقطت يوم 26 أكتوبر 1881 بعد أن كانت الساحة الأساسية وحركة المقاومة لصد العدوان الفرنسي[4] ولم تتوقف المقاومة بعد استسلام مدينة القيروان بل انتشرت في كل مكان واشتعلت نيرانها جهة الحامة ونفزاوة ومطماطة[5] أبلوا فيها بلاء حسن واستمرت مقاومتهم عدة شهور وتعددت في جهات مختلفة في الجنوب التونسي[6] ،والتفت فيما بينها معلنة عن شدة كراهيتها للاستعمار جراء السياسة المنتهجة في بلادهم.

"كان التونسيون يشتد ساعدهم في الإحساس بشخصيتهم القومية والروحية مما أدى بهم إلى الصمود في وجه العدو الفرنسي لاستعادة الحرية والاستقلال لبلادهم"[7] ،"وقد قام الثوار بصفاقس بعدة أعمال بطولية التحق بهم ألف عسكري من جنود الباي الفارين واشتركوا مع المقاومين في الكفاح المسلح مستخدمين السلاح الأبيض أسفر عن موت 12 فرنسيا وجرح 50أيضا واستشهاد حوالي 500 تونسيا"[8].

إلا أن حركة المقاومة التي أعلنها السكان قهرت خلال أيام، "وكان بطش المحتل عنيفا ومتوحشا"[9] ولم يستطع السكان الصمود طويلا أمام هجمات الأسطول الفرنسي الزاحف

---

[1]محمد المرزوقي،المرجع السابق،ص95, 97.

[2] أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص 78.

[3] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 311.

[4] زهير الذاودي، المرجع السابق، ص 24.

[5]عبد الله الطاهر، المرجع السابق، ص 27.

[6] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص 45.

[7] يونس درمونة،تونس بين الاتجاهات ،المرجع السابق، ص 71.

[8]أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص 78.

[9] عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تق: سامي الجندي، ط 1، دار القدس، بيروت، 1960، ص 06.

الذي بلغ أوجه يوم 14 جويلية، حيث ضم 17 سفينة و6000 جندي، نظرا للتفاوت التقني في الأسلحة الحربية بين الثوار التونسيين وقوات الاحتلال، فسقطت صفاقس يوم 16 جويلية بعد قصف دام عدة أيام، بالرغم ما أبداه رجال المقاومة المسلحة من شجاعة وبسالة إلا أن النتيجة أسفرت عن هلاك عدد كبير منهم[1] ،وخسائر عديدة كسقوط جرحى جرحى وقتلى في ميدان القتال، وتهديم العديد من المنازل وأسوار المدينة بسبب الأسلحة العصرية التي استطاعت من خلالها القوات الفرنسية القضاء على المقاومة الصفاقسية وانتقموا من سكانها بعدما قصفوها بقنابلهم، وافتكوا السلاح من أهلها وأرغموهم على دفع غرامة حربية قدرها 15 مليون فرنك، ونجى عدد من المقاومين واضطروا إلى مغادرة المدينة من بينهم علي بن خليفة النفاتي وأفراد عائلته وبعض سكان المدينة بعد سقوط صفاقس في أيدي الفرنسيين[2].

وعلى إثر هذا الخبر الموجع دفع بالمقاومين إلى الرحيل من هذه المدينة والتوجه نحو قابس لتنظيم حركة المقاومة ومواصلة عملية الكفاح المسلح لصد العدوان الفرنسي في جنوب تونس[3].

وفي حدود إطلاعنا نرد فشل المقاومين في التخلص من الوجود الفرنسي إلى:

-عدم تلقي سكان صفاقس مساندات خارجية .

-امتلاك فرنسا أسلحة عصرية استطاعت بها تدمير قوة المقاومين بالرغم من القوة والعنف التي أظهروها في قتالهم.

-تكثيف فرنسا الجيوش وتجديد قواتها بالمدينة .

المطلب الثاني: المقاومة في قابس:

إن احتلال صفاقس لم يضع حد للوجود الفرنسي، فالقوى لم تكن متكافئة مما جعل المقاومة تنسحب إلى قابس بعد سقوط صفاقس في يوم 16 جويلية 1881،"على إثر

(1) شايب قادرة، المرجع السابق، ص 36.

(2) محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 97.

(3) شاوش حباسي،"**فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد فعل التونسي(1881،1883)**"،المرجع السابق،ص97.

ذلك توجه علي بن خليفة بصحبة أتباعه إلى وادي بودران[1] وبقوا باتصال مع رجال جلاص[2] كما توجه قادة بني زيد والحزم وكذلك صالح شقيق علي بن خليفة إلى قابس واستقروا بها للعزم على مواصلة المقاومة والدفاع عن سكانها"[3] واستعدوا لصد العدوان الفرنسي بالمدينة التي تتركب من قريتين: "المنزل وجارة"، وكان سكان قابس يتوقعون قدوم الأسطول الفرنسي إلى بلدتهم، "وفعلا فقد أرست بتاريخ 21 جويلية 1881 باخرة حربية فرنسية بقابس، وبعث قائد السفينة برسالة يدعو فيها موقفهم تجاه القوات الفرنسية الزاحفة، فبوصوله انعقد اجتماع في دار خليفة المنزل بحضور قاضي ومفتي هذه البلدة وكذلك جمع من أعيان جارة يتقدمهم وكيل جمعية الأحباس "الحاج أحمد بن جراد" الذي دعا إلى الخضوع لقوات الاحتلال غير أن القرار قوبل بالشتم والرفض من طرف جل الحاضرين"[4] ،وأثناء الاجتماع وصل خبر بقدوم الجيش العثماني إلى طرابلس وسيحل قريبا إلى قابس، فرح السكان بهذا الخبر فزاد عزيمة وحماسا في مقاومة الاحتلال، وأصبحت المنزل مركزا للمقاومة يقبل إليها المقاومون من جميع قرى واحة قابس، كما كان لسكان جارة دور في حركة المقاومة فالتحقوا بها[5] ووصل الأسطول الفرنسي إلى قابس يوم 24 جويلية 1881 ولقوا ترحيبا من أهالي جارة هذا الأخير شرع في قصف المنزل بالمدافع، وهذا الهجوم لم يمنع الثوار من أن يفرضوا على جارة والفرنسيين معركة بسوق جارة جعلت الفرنسيين يعودون إلى الشواطئ ليحتموا بسفنهم وبعد يومين من وصول الأسطول الفرنسي أعادوا الكرّة على جارة بقيادة الكلونيل "جامي" ومع ذلك صمد الثوار وظلوا يقاومون ويدافعون بشراسة عن المدينة لمدة أكثر من أربع أشهر

[1] وادي بودران، تبعد عن المدينة حوالي 30 كيلومترا، شهرت بأنها الأحسن في مراعي الأغنام وجودة الخرفان ،أنظر:محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 112.
[2] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 32.
[3] محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 98.
[4] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص49، 50.
[5] شايب قدادرة، المرجع السابق، ص ص36،37.

واصلوا في شن هجومات متكررة على الفرنسيين المتمركزين بقابس[1] ،هكذا أظهر السكان إرادتهم في عدم قبول الحماية الفرنسية التي فرضت على تونس فرضا وظلوا يقاومون، لكن انقلبت عليهم القوة الناشئة[2] فقصفت قابس بحرا ودارت المعارك عنيفة في فترة ما بين 24 إلى 26 من شهر جويلية، مما دفع بالقبائل إلى إجراء محادثات فيما بينها والتشاور بسبيطلة في 19 أوت مصممين على مواصلة المقاومة المسلحة، فتعددت المعارك في اشتباكات متتالية مع العدو الفرنسي، فشنوا معركة شهيرة في "بئر حفيظ" جنوب الوطن القبلي التي أزعجت قوات الاحتلال[3]. "وامتدت الثورة في قابس أواخر شهر نوفمبر اضطرت القوات الفرنسية المتمركزة بالمدينة إلى احتلال صفاقس من جديد يوم 23 ديسمبر 1881"[4]، وبقي الشعب التونسي يظهر عدم قبوله للمعتدين الفرنسيين دفعت بالقوات الفرنسية إلى تغيير أسلوب قتال الثوار التونسيين والسكان التي تمثلت في عدة طرق منها كالقمع والسلب المصادرة، السجن، القتل ليستطيعوا القضاء على حركة المقاومة في الجنوب فقاموا باستغلال خيرات البلاد واستعباد سكانها والنظر إليهم بعنصرية ،وهكذا سالت الدماء باستشهاد العديد وانسحاب من بقي حيا من الثوار إلى طرابلس بعدما صعبت عليهم مواصلة المقاومة[5].

"أما قفصة فقد حثت كذلك على ضرورة القيام بالمقاومة بعد اتفاق أهلها من مدنيين وجنود وكان من أشهر الضباط المشاركين والذين كان لهم دور كبير فيها: كالصاغ عثمان والملازم محمد بن أحمد والشاوش إسماعيل بن محمد وشارك أيضا المفتي والقاضي والأعيان إلا أنهم لم يستطيعوا التغلب على ضابط البرج الذي ظل مواليا للدولة، وهذا الأخير لم يقدم أي مساعدة رغم اتهامهم له بالتنصر والاتفاق مع الفرنسيين لدخول المدينة، بيد أن حشود القوات الفرنسية القادمة من الجزائر قللت من صلابة موقف القبائل

(1) الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 220.

(2) الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 30.

(3) خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 26.

(4) للمزيد من المعلومات،أنظر الملحق رقم4،ص81.

(5) أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص ص78،79.

والجنود في الدفاع عن المدينة لذلك لم تكن مشاركة المدينة فعالة في القتال المسلح ضد الفرنسيين"[1].

ونرد ذلك إلى خوف سكان قابس من سقوطها في أيدي الفرنسيين كما حدث لصفاقس من جهة،ومن جهة أخرى نقص الإمكانيات القتالية في مواجهة الأعداء الفرنسيين.

[1] الشيباني بنبلغيت،المرجع السابق،ص ص220،221.

الفصل الثاني:

ردود الفعل من المقاومة الشعبية المسلحة

المبحث الأول: ردود الفعل الداخلية

المطلب الأول: موقف الباي

المطلب الثاني: موقف الطرق الصوفية

المبحث الثاني: ردود الفعل الخارجية

المطلب الأول: موقف الدولة العثمانية

المطلب الثاني: موقف المغاربة

المبحث الأول:على المستوى الداخلي

المطلب الأول: موقف الباي:

بعدما فرضت الحماية الفرنسية على تونس بتوقيع الصادق باي على معاهدة باردو بتاريخ 12 ماي 1881، كرست الهيمنة الفرنسية على البلاد بشكل كامل، وبذلك تابع جيش الاحتلال عملياته العسكرية وقام بتعزيز قواته لمواجهة الثوار التونسيين بعد انتشار المقاومة في كل مكان.

"وهكذا فإن لم تلق قوات الاحتلال مقاومة من قبل جيش الباي الذي أعلن ولائه للفرنسيين في بداية الأمر، فكان عليها أن تواجه المقاومة العنيفة التي قابلها السكان"[1].

جاء في معاهدة باردو مساندة الباي قوات الاحتلال الفرنسي وأبدى موافقته بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتاب النظام والأمن بالحدود والسواحل، وتعهد الباي بعدم عقد أي معاهدة مع الدول الأخرى إلا باستشارة فرنسا في الأمر[2] ،وهذا يدل على وقوفه مع الفرنسيين وتنفيذ قراراتها ولم يعر أي اهتمامات بشأن المقاومة المسلحة التي عمت أنحاء البلاد[3]،حيث ساعد القوات العسكرية الفرنسية من خلال "وضعه على ذمة القيادة الفرنسية ألف رجل بالرغم أن معظمهم فر من صفوف الجيش النظامي والتحقوا بالمقاومين"[4]، إلا أن العدد الذي بقي مع الباي وهو ضئيل جدا وقف بجانب المحلة الفرنسية ضد المقاومين من جهة، ومن جهة أخرى أعلنت الدولة عن تجهيز محلة جديدة لتهدئة القبائل التي لم ترضى بالاستسلام وبقيت صامدة في وجه الأعداء وانضم بجانب المحلة الفرنسية العديد من العساكر منها عساكر الحنفية وزواوة والمخازينة التي ضمت كل منهم 500 جندي وتحمل معها5 مدافع، وهذا دليل على تعاون

---

(1) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص44،45.

(2) للمزيد حول بنود معاهدة باردو،أنظر الملحق رقم1،ص78.

(3) خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 29.

(4) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 27.

المحلتين التونسية والفرنسية رسميا ، مما جعل المقاومين التونسيين يشنون هجوماتهم المتكررة على هؤلاء لذلك أوصى الصادق أخاه أمير المحلة بالتعاون مع الفرنسيين لردع القبائل الثائرة، وهذا ما حصل بالفعل وبدأ التقارب بينهما وتبادل الزيارات، ورغم ذلك بقي الثوار يهاجمونهم كما فعل علي بن عمار[1] الأعاجيب في القتال ضد المحلتين وتكبدت عن هذه الأخيرة خسائر فادحة عندما أحاط المقاومون بالمحلتين الفرنسية والتونسية معا وهذا ما يشير إلى بطولة مقاوميها كما أن التحاق بعض الجنود من المحلة التونسية من زواوة والقلعة الكبرى الذين برز دورهم في عرقلة الطريق أمام القوات الفرنسية[2]،وتعود السكان على مقاومة الفرنسيين بعدما برز موقف الباي بالتواطؤ معهم(الفرنسيين) ولم يعلن التصدي للغزو الاستعماري وقبل الحماية ودعا جنده وحكومته للاستسلام لجيش فرنسا[3] ،فكان من أبرز الذين ساندوا المحتل الفرنسي على غرار الصادق باي ،كأبي رغال الذي كان مرشدا للمحلين ضد الثوار، وكذلك أحمد المدلجي وهكذا أصبحت فرنسا تتحكم في زمام الأمور بالبلاد باسم الباي الذي اقتصر دوره في ختم الأوامر وحرصه على قبض راتبه ومخصصاته التي يصرفها له الفرنسيين، وكان أعوان الباي يساندون المحلتين ولم يمانع في تنفيذ رغبة الفرنسيين ،وهذا دليل على الخيانة التي مارسها ضد شعبه ووطنه وكان يقدم أنواع المساعدات للمحلتين بمساندة أعوانه[4].

نتج عن ذلك عدة تأثيرات سلبية في عرقلة مسار المقاومة وذلك بإمدادهم بمختلف المعلومات التي تخص البلاد[5]، وهذا سبب من الأسباب التي فجرت الشعور الوطني

---

(1) علي بن عمار: من قبيلة أولاد عيار، سجن بالعاصمة وبعد إطلاق سراحه تزعم قبائل أولاد عيار، وأولاد عون، كما عرف باصطداماته مع الفرنسيين وحدثت معارك عنيفة ، هاجر إلى طرابلس وبعد عودته توفي عام1883 ، أنظر محمد المرزوقي، المرجع السابق من ص 221 , 226.

(2) الشيباني بن بلغيث، المرجع السابق، ص 219.

(3) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 45.

(4) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص28،29.

(5) محمد علي داهش،المرجع السابق ، ص 43.

غضب ضد الباي وحاشيته وضد القوات الفرنسية، فخرج فرسان الأعراب ورجالاتهم بإعلان العصيان على سلطة الباي، وأخذ الثوار بمطاردة مبعوثي الصادق باي والفرنسيين[1].

كذلك حدث مع علي باي ولي العهد عندما وقع على معاهدة المرسى في 1883 المكملة لما جاء في معاهدة باردو[2].

وفي حدود إطلاعنا نرد تخاذل الباي عن تقديم يد العون للمقاومين ونحن لسنا بمقام يسمح لنا بإدانته وإنما نود تبيان ذلك العجز، وذلك استنادا إلى ما ذهب إليه "علي المحجوبي" الذي رد ذلك إلى طبيعة شخصية الباي التي كانت تميل إلى اللهو، وعدم اهتمامه بشؤون الحكم الأمر الذي دفعه إلى الاستعانة بوزيره مصطفى خزندار لتسيير شؤون الإيالة، كما عرف بابتعاده عن رعيته.

وإذا اعتبرنا أن سن الباي الذي كان يقارب 70 سنة قد حمله على التخلي عن المقاومة وحل الأمور بالطرق السلمية لكن هذا لا يبرر تخاذل الباي، إذ نجد أن علي بن غذاهم الذي قاد انتفاضة 1864 م كان في نفس سنه.

ويمكن أن نرجع سبب عجز الباي إلى علمه بسوء أحوال مملكته السياسية والمالية بالإضافة إلى ضعف الدولة العثمانية وتخليها عن مساندة المقاومة، وبالتالي فإن انضمام الباي للثوار لم يكن ليحدث أي فارق سوى رفع معنويات المقاومين أمام التفوق العسكري الفرنسي.

المطلب الثاني: موقف الطرق الصوفية

برزت بعض المواقف لدى الطرق في إعلان ولائها للاستعمار الفرنسي مساهمة بشكل كبير في تسهيل المهمة للقوات الفرنسية للاستيلاء على البلاد التونسية، فكانت أهم الطرق التي كانت وراء التخلي عن المقاومة والتواطؤ مع المستعمر، كالطريقة القادرية بالكاف والطريقة التيجانية ،وكانت لهاتين الطريقتين علاقات وطيدة مع الفرنسيين وبالتالي

---

[1] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 25.

[2] للمزيد حول بنود معاهدة المرسى، أنظر الملحق رقم 02،ص79.

رفضوا المقاومة المسلحة التي أعلنها سكان تونس في الشمال والوسط والساحل والجنوب على غرار هذه الطرق التي وضعت يدها مع المستعمر، هناك بعض الطرق الصوفية التي تميزت

مواقفها برفض التعامل مع الاستعمار الفرنسي أو التواطؤ معه ،ووقفت بجانب المقاومة التونسية ضد الاحتلال[1] ، ومن بين هذه الطرق نجد في مقدمتها الطريقة الرحمانية رائدها"حسونة بن أحمد بن عبد المالك" بأولاعون الذي قاوم الاستعمار وموقفه يتناقض تماما مع مواقف كل من أحمد قدور والمنوبي ،والتيجاني.

ومن بين الأساليب التي استعملوها للمواجهة هو القيام بعدة انتفاضات أشهرها انتفاضة الفراشيش التي انتشرت بوسط غرب البلاد وتزعمها عمر بن عثمان المعروف بانتمائه للطريقة الرحمانية.

اندلعت هذه الثورة يوم 26 أفريل 1906 م بهجوم الفراشيش على المزرعة المعروفة باسم برج الشعانبي التابعة لأحد المعمرين الفرنسيين،وذلك للحد من التسلط الاستعماري خاصة الاقتصادي،وبذلك برهنت هذه الانتفاضة عن رفض سكانها لسياسة الحماية تلك هي أهم الوقائع التي شهدتها هذه الانتفاضة في منطقة الفراشيش ،وما يلفت النظر أن المقاومة في تونس ضد الاحتلال الفرنسي أدت إلى بروز مشايخ الطرق الصوفية الذين اعتبروا الثورة ضد الفرنسيين جهادا إسلاميا ومن بين المشايخ الذين برزوا بعد الشيخ حسونة بن أحمد بن عبد الملك شيخ الزاوية الرحمانية كشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الملك أحد رجالات الزاوية الرحمانية سالفة الذكر، ومعمر زاير كذلك من أتباع الزاوية المذكورة الذي لعب دورا كبيرا في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وبعد وفاته خلفه أخوه الأصغر عبد الحفيظ الذي بقي يكافح الاحتلال[2].

---

[1] النيليلي العجيلي، المرجع السابق،ص ص15-156.

[2] المرجع نفسه،ص ص157 -162.

وفي مقابل هذه المواقف سيبرز دور الطريقة السنوسية نسبة إلى الشيخ محمد السنوسي[1]،الذي شجع على قيام الحركة الوطنية وإعلان التوحد والجهاد ضد الفرنسيين بتشكيل وفد شعبي لملاقاة الباي تطالبه بإيقاف حركات الفرنسيين، وبعد اكتشاف السلطات الفرنسية للأمر قامت بنفي الشيخ محمد السنوسي خارج تونس، وبعد نفيه قاد الطريقة بعده الشيخ "المكي بن عزوز"[2] أحد مشايخ الزيتونة، برز دوره في تكوين مجموعة من الشباب التونسي الثوري لصد العدوان الفرنسي، لكن وافته المنية بعد نفيه إلى المشرق العربي.

بقيت أفكاره يتبناها الشباب التونسي الذي كونه بنفسه، وكان من أبرزهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي[3]، وبعد إطلاق سراح الشيخ محمد السنوسي من المنفى دعا إلى تكوين حركة العروة الوثقى التي تعرف على أهدافها عندما كان منفيا بمصر[4] ، وهذه الطرق ساهمت بشكل كبير في الجهاد، وبرزت خارج تونس طريقة أعلنت ولائها وخدمتها لتونس وهي

---

(1)محمد السنوسي: (1850-1900) أديب ومؤرخ وصحافي تونسي، درس بجامع الزيتونة امتهن التدريس فكان الناصر باي أحد تلاميذه عام 1882 سافر إلى إيطاليا ومنها للأستانة، ولما عاد أسس جمعية السرية للعروة الوثقي، وبعد زيارة محمد عبده لتونس (1884-1885) تأثر به وعارض سياسة الحماية فنفته إلى الجنوب التونسي، أنظر:حسيبة طيبوتي ونور الهدى زوية، "تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية"(1904-1919)،مذكرة تخرج= =لنيل شهادة الماستر في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي،(غيرمنشورة)،إشراف:بليلة عبد اللطيف،قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة الجيلالي بونعامة،خميس مليانة،نوقشت2014،2015،ص22.

(2) المكي بن عزوز (1852-1916): علم من أعلام العلم والأدب والمعرفة، ينحدر أصله من بيت جزائري من نواحي برج بن عزوز قرب بسكرة ،عريق في الديانة والفضل والهداية والاصلاح،وكان والده أول من استقر من عائلة ابن عزوز بالبلاد التونسية ،حيث ولد الشيخ المكي تحت رعاية أبيه العلمية والتربوية،وأخذالعلم على علماء الجريد أمثال عمه،أنظر يوسف مناصرية ، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين(1919-1934)،د.ط،دار هومة،الجزائر ،2013،ص28.

(3) عبد العزيز الثعالبي: (1874-1944) رجل سياسي ومفكر اسلامي تونسي من أصل جزائري، ولد بتونس، انضم إلى الجمعية الخلدونية، أشرف على جريدة التونسي، كما شارك في مظاهرات 1911، أسس الحزب الدستوري 1920، أنظر: أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2000، ص ص110,108.

(4)الطاهر عبد الله،المرجع السابق،ص ص30،31.

الطريقة "المدنية" بطرابلس الغرب، وهذه الطرق عملت على تنظيم حركة المقاومة مع السكان.

صادف هذه الوقائع والمجريات بروز عدة سلبيات في بعض الطرق الصوفية في مقاومة الحماية، ويرجع ذلك لعدة أسباب:

- **الاقتداء بالطرق الصوفية (الجزائر):**

أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر برزت عدة طرق وخاصة الطريقة الرحمانية كانت وراء العديد من الانتفاضات طيلة النصف الثاني من القرن 19م، حيث رأى سكان تونس أن هذه الطريقة سيكون لها دور كبير في مساندة حركة المقاومة.

-الحفاظ على المصالح:

يبدو لبعض الطرق في سلبيتهم اتجاه الاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية التواطؤ معهم مما سهل عليهم مهمة الاستيلاء على البلاد.

-التناقضات الداخلية:

تمثلت بين الطرق خاصة في منطقة الكاف وعلى مستوى البلاد، حيث نشبت عدة اختلافات واختلالات حتى وصل بهم الأمر إلى وقوع حرب أهلية.

كل هذه العوامل كانت سببا في إعاقة حركة الجهاد وعرقلة التنظيم ،وبالتالي أحدثت في أشد الفترات حرجا في البلاد[1].

كان للعلماء التونسيين أيضا دورا كبيرا في حركة الجهاد ضد العدوان الفرنسي، لكن ليس كلهم عبروا عن رفض الحماية الفرنسية ما عدا بعض الزعماء الدينيين بالجنوب التونسي وخاصة قابس، فعدد قليل عبرعن عدائه للفرنسيين ويعود ذلك إما لتخليهم عن مناصبهم أو الهجرة إلى البلدان الإسلامية الأخرى أو لأسباب أخرى.

وبرز دورهم كذلك في تعطيل بعض الأعمال التي تمارسها فرنسا بتونس كالامتيازات التي تحصل عليها، إلا أن فرنسا استخدمت بعض الإصلاحات لتعمل على

---

[1] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص144-152.

إضعاف دور العلماء تدريجيا كما فعلت في ميدان العلوم الإسلامية حيث نجحت في السيطرة على الكتاتيب والمدارس القرآنية، إلا أن علماء الزيتونة لم يرضوا بما تقوم به فرنسا وأخذوا يمنعون هذه السيطرة لاستعادة الكتب والمدارس القرآنية التي سلبت[1].

[1] آرنلد قرين، "**العلماء التونسيون وانتصاب الحماية الفرنسية بتونس (1881-1892)**"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع 1، تونس، جانفي 1974، ص 74.

المبحث الثاني: ردود الفعل من المقاومة على المستوى الخارجي

المطلب الأول: موقف الدولة العثمانية

لا يمكن لأية مقاومة مهما كانت إمكانياتها أن يكفل مقاوميها استمراريتها وضمان نجاحها، إذ يتوقف كل ذلك على ما تتلقاه المقاومة من دعم مادي ومعنوي على المستويات الداخلية والخارجية لإنجاحها بعد الانتهاء من مرحلة التعبئة كخطوة أولى لبداية المقاومة وتنظيم صفوف المقاومين،وانضمام قبائل الفراشيش، ونفات، والهمامة للمقاومة، وتنصيبهم لعلي بن خليفة كقائدا للمقاومة،حيث جرى الاتصال بعدها مباشرة بسلطات العثمانية المرابطة بطرابلس الغرب لطلب تدخل القوات العثمانية، وانضمام قواتها لقوات المقاومة[1].

- يذكر علي المحجوبي أن العوامل المساهمة في ظهور المقاومة بالجنوب التونسي في كل من مدينة صفاقس وقابس في شهر جوان 1881 يعود إلى تلقي المقاومين لإشاعات مفادها قدوم قوات عثمانية لمساندة المقاومين وخشية الجاليات الأوروبية من تطور الأمور وحدوث عمليات النهب من طرف الثوار لممتلكات الجاليات[2].

- وفي العام الثاني من بداية المقاومة وخلال الفترة الممتدة ما بين (مارس إلى جويلية 1882) نظمت المقاومة صفوفها على الحدود التونسية الطرابسية حيث كانت تأمل دائما تدخل القوات العثمانية وأصبحت تلك المنطقة الملاذ الأمنع للمقاومين الذين أقروا العزم على مواصلة الكفاح، وما زاد من عزيمة المجاهدين إصدار فرنسا أوامر لقواتها المسلحة تقضي بعدم السماح للمقاومين باجتياز الحدود الطرابلسية خشية حصول مواجهات مع القوات العثمانية[3].

---

(1) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 25.

(2) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 48.

(3) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 40.

- بعد اجتماع القيروان قرر المجتمعين إرسال مبعوثين إلى باشا طرابلس لمعرفة موقفه من المقاومة، وأعلن علي بن خليفة خلال الاجتماع أن السلطان لا يمكن أن يتخلى عن نجدة تونس، وأنه سمع أخبار مفادها وصول نجدة القوات العثمانية التي ستنزل بطرابلس لتصل إلى تونس مباشرة. وعند سماع الثوار لأنباء وصول النجدة شد ذلك من عزمهم، وتجرأ بعض من أعوان الباي على الانضمام إلى صفوف المقاومة أمثال: الحاج حراث الذي عمل على تهدئة سكان الساحل والوسط ومنعهم الانضمام للمقاومة. ونفس الأمر "لعلي بوعلاق"[1] الذي عمل على قمع أولاد يعقوب ومنعهم عن المقاومة[2]، وقد بعث علي بن خليفة بابن أخيه، الحاج محمد بن خليفة إلى الأستانة سنة 1882 م ليتصل بالوزير خير الدين التونسي[3] وبوزراء الأستانة لمعرفة موقفهم بشأن مساندة المجاهدين التونسيين، لكن خير الدين التونسي أكد عجز الدعم عن تقديم يد العون للمقاومين[4].

وعلى النقيض من ذلك فقد أكد علي المحجوبي تخلي خير الدين التونسي عن مساندة المقاومة ليس بسبب عجز الدولة العثمانية إنما يعود ذلك الامتيازات التي حصل عليها من فرنسا والمتمثلة في حصوله على جراية سنوية بلغت 30000 فرنك وكانت تسند إليه من ميزانية الإيالة ونفس الشيء بالنسبة لمحمد بن صالح بن خليفة ابن أخ علي بن خليفة الذي عمل "فيرو" القنصل الفرنسي بطرابلس على إخضاعه حيث قبل التخلي عن المقاومة

---

[1] علي بوعلاق، علي بن محمد علي بوعلاق من قبيلة أولاد يعقوب من ولاية قابس انضم للمقاومة بالشمال التونسي هاجر إلى طرابلس لتنظيم صفوف المقاومة 1907 م، توفي 1915 م، أنظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 219.

[2] المرجع نفسه، ص 94.

[3] خير الدين التونسي(1810،1915): شركسي الأصل، قدم تونس، عين وزير في عهد أحمد باي قام بجملة من الإصلاحات التونسية، أقيل عن الوزارة 1877، سافر إلى الأستانة، اشتهر بمؤلفه: "**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**"، توفي بالأستانة ، أنظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ص 637.

[4] محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 198.

مقابل حصوله على امتيازات تمثلت في جراية قدرت بـــ 20000 فرنك منحت له من وزارة الخارجية الفرنسية، كما نصب قايد على نفزاوة[1].

- وأمام عجز الدولة العثمانية عن مساندة المقاومين رأى هؤلاء ضرورة الهجرة إلى طرابلس، وقد روجت جريدة "الجوائب" بالأستانة خبر أذاعته الاستعلامات الفرنسية، يتعلق بهجرة المقاومين وتخليهم عن أوطانهم واستسلامهم طواعية للفرنسيين ورد علي بن خليفة على الجريدة قائلا:"اطلعت في العدد 1077 من جريدتكم خبرا ثار عجبي: إذ لابد أنه صادر عن بعض المفسدين، والواقع أنه لا أصل لذلك فنحن لا نتوقف عن الجهاد من أجل وطننا وديننا وشرفنا العربي الموروث نحن لا نعترف إلا بدولة واحدة لقد تركنا أرزاقنا وعائلات أولادنا، ويظهر أنكم لم تطلعوا على أعمالنا، فإياكم أن تصدقوا ما تروجه الصحف من أخبار كونوا على يقين أني ومن معي لا يزال متشبثين بطاعة الباب العالي فنحن رعاياه وبلادنا بلاده، ورأيه رأينا فرجالنا يرون الموت، ويحاربون بدون استسلام.......[2].

- يبدو من خلال رسالة الرد على ما جاء في جريدة "الجوائب" لعلي بن خليفة ،نستشف من خلال كلامه أنه كان يقصد" بالمفسدين"الجواسيس التونسيين الموالين لفرنسا بطرابلس،والذين عملوا على إهام التونسيين والدولة العثمانية عن قادة المقاومة قد احتموا بطرابلس وتخلوا عن تونس،وذلك لإحداث الشقاق في صفوف المقاومين خارج تونس المتواجدين بطرابلس والمتواجدين بتونس،كما ذكر علي بن خليفة واجبات الدولة العثمانية بتونس[3].

-وعلى النقيض من ذلك فقد أشاد علي المحجوبي بدعم الباب العالي للمقاومة التونسية وذلك من الناحية الإعلامية وبذكر على سبيل المثال دعم الشيخ محمد بيرم التونسي الذي أنشأ جريدة "الاعتدال" "بالقسطنطينية" بمعية مساندة الباب العالي، وكانت تصدر هذه

---

[1]علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 100.

[2]محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 199.

[3] المرجع نفسه،ص 198 .

الجريدة بصفة منظمة وقد شنت في عددها الأول، الصادر سنة 1883م حملة إعلامية دعائية على المستوى الإسلامي في أسلوب صوفي جهادي أصدرت نداءات إلى كافة المسلمين تدعوهم إلى نبذ الخلافات والتكتل حول السلطان، وقد قدرت فرنسا خطر هذه الصحيفة التي دعت إلى توحيد صفوف المسلمين وانضمامهم إلى إخوانهم التونسيين في مقاومتهم بشكل غير مباشر لذلك حجزت الأعداد الخمسين للجريدة ومنعهما من الوصول إلى تونس[1].

- يبدو لنا استنادا إلى ما ذهب إليه بعض المؤرخين لتبيان عجز الدولة العثمانية عن مساندة المقاومة التونسية مرجعين ذلك إلى حالة الضعف التي كانت عليها ،إذ تعد الفترة مابين(1768م،1826م)مرحلة ضعف الدولة العثمانية،ومرد ذلك ضعف شخصية سلاطينها،وكذاالمؤسسة العسكرية وظهر ذلك الضعف خلال فترة (1909م،1826م)مرحلة التنظيمات والإصلاحات العثمانية التي زادت من امتيازات الأجانب الدولة العثمانية في الوقت الذي ظهرت الحركات الانفصالية الداخلية ،منها جمعية الاتحاد والترقي سنة 1908التي عملت على إسقاط حكومة عبد الحميد الثاني،نهيك عن ظهور الحركات الانفصالية في المشرق العربي في القرن 15وتراجع نفوذ الدولة العثمانية أمام الدول الأوروبية على المستوى الخارجي.

كل هذه العوامل كانت تنذر بسقوط الدولة العثمانية التي انتهجت سياسة مهادنة فرنسا والحفاظ على ما تبقى لها من ممتلكات بالأخص حفاظها على ليبيا[2]

---

[1] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 99.

[2]سليمان بن صالح الخراشي،كيف سقطت الدولة العثمانية،ط1،دار القاسم للنشروالتوزيع،الرياض،1420 ه،ص ص40,23.

المطلب الثاني: موقف المغاربة

1- موقف سكان الجزائر:

لقد اختلف المؤرخون حول موقف سكان الجزائر من المقاومة، بين رأي مقر بالدعم الجزائري وعلى خلاف ذلك فهناك رأي أنكر الدعم الجزائري ويظهر ذلك من خلال عرضنا للأراء المتباينة.

يذكر علي المحجوبي أن الانطلاقة الأولى لاحتلال تونس كانت من الجزائر، بحيث توزعت فرقة عسكرية فرنسية بتعداد 6000 جندي في كل من الكاف، بنزرت وطبرقة، وباجة قدمت من قسنطينة[1].

إن حشد القوات الفرنسية القادمة من الجزائر قد قللت من صلابة موقف القبائل في مقاومتهم[2].

يقر أحمد القصاب باستثمار فرنسا تواجدها بالجزائر، ويظهر ذلك من خلال قيام أحد القبطان "ديبورتار" الذي استقر بمنطقة وادي سوف، على مراقبة حركة سكان المنطقة بالتنسيق مع الباي، والعمل على منع حدوث تنسيق بين سكان واد سوف، وسكان الجريد ولكنه لم يفلح في ذلك حيث تخلص رجال من الهمامة ومن سكان واد سوف من أعوان القبطان والباي ،وفي تلك الأثناء تعززت قوات المقاومين في شهر جوان 1881 م تكاثر عدد الثوار ما بين (15 إلى 20 جوان 1881 م) وقد تمكن بذلك بعض السكان من وادي سوف من الجريد من الانضمام إلى المقاومة[3].

نرجح ذلك إلى تخلي بعض سكان الجزائر عن المقاومة التونسية، وصفهم للجانب الفرنسي ويظهر من خلال مجهودات الجاسوس الفرنسي "يوسف الليقرو"[4] الذي قام بدور

---

[1] الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 220.

[2] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 44

[3] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 26

[4] الليقرو: جاسوس فرنسي من أصل جنوب، عين عامل على الجريد، ارتقى إلى رتبة الخيالة غير النظامية سنة 1881 عمل على إغراء المقاومين بتخليهم عن المقاومة، أنظر: أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 42.

الوسيط بين القنصل "لوجيرو" وبين السكان الحاملين للسلاح، والذي حملهم على الاستسلام مقابل وعود كاذبة.

وبعد سماح الحكومة الطرابسية للتونسيين بالهجرة والاحتماء بأراضيها شعرت الحكومة الفرنسية بالقلق جراء خشية تنظيم المقاومين لصفوفهم في ليبيا[1] لذلك عملت على إقناع علي بن خليفة الذي كان يأتمر الثوار بأوامره، ولأجل ذلك أرسلت إليه حفيد الأمير عبد القادر الجزائري عبد الرحمان بن الحسين بن محي الدين الذي كان وسيط بين الليقرو، وعلي بن خليفة الذي عمل على إقناعه بالتخلي عن المقاومة وأتباعه من الثوار وقد وعدت فرنسا عبد الرحمان بحصوله على جراية سنوية لم تقدر قيمتها، وضمان قيادته لعشيرته[2].

في حين يرى "الهادي البكوش" أن تونس قد خذلت المقاومة الجزائرية بحيث قام محمد الصادق بالتحالف مع قائد قوات الاحتلال بالجزائر "كلوزال" الذي أمضى معه معاهدة يتولى محمد الصادق باي تونس بمقتضاها هو وعائلته حكم وهران وقسنطينة،بعد تضييقه الخناق على المقاومة ، وبذلك نجحت فرنسا في عزل تونس عن الجزائر ليسهل عليها احتلال تونس من الجزائر، وبذلك تخلفت الجزائر عن مساندة تونس في مقاومتها[3].

وعلى خلاف ذلك يظهر الدعم الجزائري للمقاومة، ويتجلى في دعم الجالية الجزائرية التي كانت متواجدة بتونس للثوار التونسيين إذ شكل وجود الجزائريين بتونس خلال فترة احتلال تونس 1881 خطرا على مصالح فرنسا بتونس، التي عملت على إيجاد حل لمشكلة الجالية مما دفعها إلى دعوة هؤلاء للتجنس والدخول تحت الحماية الفرنسية لكنها لم تفلح في ذلك إلا نسبيا، وهذا زاد من تخوف فرنسا لهذه الجالية وانضمامها للثوار في مقاومته وهذا

---

(1) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 44.

(2) المرجع نفسه، ص 45.

(3) الهادي البكوش، "المقاومة في تونس ضد الاستعمار في 1881 إلى 1964م،(محاضرة)، ألقيت على طلبة كلية الحقوق جامعة صفاقس – تونس (2003، 2004)، ص 15.

يحملنا إلى القول بانضمام طبقة عامة الجزائريين من الفلاحين وغيرهم إلى إخونهم التونسيين في مقاومتهم والدفاع عن تونس بعد فقدانهم لأرضهم الجزائر[1].

يبدو لنا من خلال ما سبق ذكره بشأن دعم سكان الجزائر للمقاومة إلى أن ذلك الدعم كان محدودا،إذ اقتصر على مجهودات فردية، شكل أفرادها سند معنوي للمقاومين التونسيين،ونرد ذلك إلى وضعية الجزائر التي لم تختلف كثيرا عن تونس،وعرفت في ذلك الوقت قيام مقاومة الشيخ بوعمامة في سنة 1881،بالإضافة إلى أن غزو تونس كانت انطلاقته من الجزائر.

2- موقف حكومة طرابلس

لقد كان نجاح المقاومة التونسية مرهون بتدخل حكومة طرابس، إذ كان باستطاعة حكومة طرابلس العثمانية الدفاع عن مصالحها في تونس وذلك بإرسال قواتها، وتجنيد عدد من المتطوعين الليبيين لأجل الانضمام إلى إخوانهم المقاومين في تونس بعد عجز الدولة العثمانية والجزائر عن مساندة المقاومة.

تجدر الإشارة إلى أن أعيان القبائل قد عقدوا اجتماع القيروان بجامع عقبة بن نافع بتاريخ جوان 1881، وبذلك برئاسة علي بن خليفة، وضم الاجتماع ممثلين عن مختلف القبائل حيث عبر الحاضرون عن عزمهم في مواصلة الكفاح دون هوادة، وقرروا ربط الصلة مع حكومة طرابلس التي يأملون أن تقدم لهم يد العون في مقاومتهم[2].

ولأجل ذلك رأت قيادة المقاومة ضرورة إفاد عدد من المبعوثين للحكومة الطرابلسية وقد اتصل أعيان مدينة صفاقس، ومثلهم في ذلك الشيخ الحاج محمد كمون الذي اتصل بعلي بن خليفة واتصل الاثنان بحكومة طرابلس معلنين خروجهم عن طاعة سلطة الباي[3].

---

[1] صالح عسول، "اللاجئون الجزائريون ودورهم في ثورة (1956-1962)"، رسالة لنيل شهادة ماجستير تاريخ حديث (غير منشورة) إشراف: يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم التاريخ والآثار، نوقشت، (2008،2009 م) ص ص81،82.

[2] خليفة الشاطرواخرون، المرجع السابق، ص 26.

[3] أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 26.

ولقد تجلى موقف حكومة طرابلس من المقاومة بفتحها للمنافذ البرية في وجه المقاومين، إذ اضطر المقاومون للهجرة إلى طرابلس في انتظار الدعم العثماني، واجتمع المهاجرين على الالتقاء بالمقطع (مضيق جبلي قرب الحدود الطرابلسية)، وقد انتشر سكان الفراشيش، وأولاد عيار بالدواخل، وحاول علي بن خليفة فرض زعامته على المهاجرين ولكنه لم يفلح في ذلك.

ولقد اختلف المؤرخون في تعداد عدد المهاجرين،لاختلاف أخبار الصحافة الأوروبية والصحافة العثمانية التي كانت ترد تقديرتها للأستانة على النحو الآتي:

60000 من سكان جبل مطماطة، 50000 من الهمامة، 20000 من جلاص، 10000 من نفات، وذلك بتاريخ ديسمبر 1881.

أما المصادر الفرنسية فترى غير ذلك، حيث وصل عدد المهاجرين في حد تقديرها إلى ما بين (40000 و120000) من بينهم 20000 من المقاتلين[1].

لا يمكن الوصول إلى العدد الحقيقي للمهاجرين بسبب الهجرة المتقطعة ولم تكن مسالك المهاجرين نفسها بالإضافة إلى تباعد فترات الهجرة مع غياب الإحصائيات الرسمية.

ولقد تفرقت القبائل في مختلف الجهات بحثا عن المراعي والماء، إذ ارتحل أولاد يعقوب والعذارى إلى صحراء الجنوب في الجهات الغربية الطرابلسية أما قبائل نفات، وأولاد عيار والفراشيش وبنو يزيد واستقروا بجهة الشرق من زوارة وكان معظم المهاجرين من الثوار[2].

لذلك شكلت هذه الهجرة قلق لدى الحكومة الفرنسية، التي عملت على الاتصال المباشر بزعماء القبائل في طرابلس وفتح المفاوضات معهم بواسطة القنصل الفرنسي "فيرو" وأعوانه وقد اتصل هذا الأخير مباشرة بزعماء المقاومة أمثال: علي بن عمار العياري، محمد كمون الصفاقسي، وأجبرهم على الرجوع إلى تونس ولم تكتفي حكومة فرنسا بذلك بل عملت على توزيع منشورات على المهاجرين وتحريضهم بواسطة الباي على الرجوع

(1) محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 321.

(2) المرجع نفسه ، ص 333.

إلى أوطانهم وإغراءهم بشتى الوسائل بسلبهم لهم أرزاقهم بمجرد العودة، تهديد المهاجرين بإقصائهم من الرجوع إلى تونس بعد انتهاء وقت الرجوع المحدد من طرف الحكومة الفرنسية[1].

يمكننا تقييم نتائج الهجرة من خلال قيام هؤلاء المهاجرين بشن عدة غارات سريعة على نقاط المحتل المتجمعة في الجنوب التونسي، بحيث استطاع علي بن خليفة ومن معه من زعماء المقاومة من تنظيم صفوف المقاومة في طرابلس وقد تمثلت مجهودات المقاومين على سبيل المثال لا الحصر فيمايلي:

- شن حملة بتاريخ 16 أوت 1882 التي ضمت 250 فارس من الهمامة وأولاد رضوان، وجلاص وأغلبهم من الوسط والساحل التونسي، حيث اخترقوا مسالك نفزاوة وصولا إلى قفصة، وتفرق الفرسان من جلاص إلى منطقة القيروان وشنوا غارات خلال سبتمبر 1882 بعد سقوط مدينة القيروان في يد الفرنسيين.
- قيام 500 فارس من فرسان حملة 16 أوت 1882، بالتوجه نحو مدينة قابس بالجنوب التونسي ما بين (12، 13 سبتمبر 1882) حيث قاموا بشن كذلك غارات على حامية القيروان[2].
- إذ كانت حكومة طرابلس قد أعلنت عن موقفها الداعم للمقاومة،فعلى خلاف فهذا الدعم لم يصاحبه دعم سكان ليبيا،ويرجع "محمد المرزوقي"ذلك بشكل غير مباشر إلى سببين جوهريين كالأتي:

1- أن السلطة العثمانية في طرابلس أقدمت على التهجير الإجباري للمهاجرين التونسيين المتواجدين على الأراضي الليبية،بل تعدى الأمر إلى سجنهم لإجبارهم إلى العودة إلى تونس،وهذا التصرف بث الرعب في قلوب المهاجرين،وكذا سكان ليبيا الذين خشوا أن يطلهم الأمر.

---

(1) محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 328.

(2) المرجع نفسه، ص 328.

2-اعتبرت الحكومة العثمانية بطرابلس تنظيم المقاومة بالأراضي الليبية،وشن المقاومين هجوماتهم على مراكز العدو بتونس"غزو"،وأوهمت سكان ليبيا بأن تلك الهجومات تهدد استقرار سكان تونس.

3-إن إقدام الحكومة العثمانية بطرابلس على مثل هذا التصرف الذي أشرنا إليه سابقا كان نتيجة للضغوط التي كانت تمارسها فرنسا على الدولة العثمانية التي كانت تخشى أن تفقد ليبيا،كما رأت أن كثرة المهاجرين كان يهدد اقتصاد ليبيا[1].

[1] محمد المرزوقي،المرجع السابق،ص129.

الفصل الثالث:

نتائج المقاومة الشعبية المسلحة

المبحث الأول: أسباب فشل المقاومة

المطلب الأول: على المستوى الداخلي

المطلب الثاني: على المستوى الخارجي

المبحث الثاني: انعكاسات فشل المقاومة الشعبية المسلحة

المطلب الأول: عوامل ظهور المقاومة السياسية

المطلب الثاني: حركة الشباب التونسي

المبحث الأول: أسباب فشل المقاومة

المطلب الأول: على المستوى الداخلي

ظهر التفوق العسكري الفرنسي في ميدان المعارك مما أدى ذلك إلى إفشال المقاومة الشعبية المسلحة التي امتدت بتونس في عدة جهات ، فقد قاوم من قاوم و استسلم من استسلم كما حدث لبعض المدن التونسية، فاضطر المقاومون للانسحاب إلى طرابلس لتنظيم صفوفهم، ليستطيعوا الوقوف في وجه الاحتلال الفرنسي وقد تضافرت جملة من الأسباب أدت إلى فشل المقاومة المسلحة[1]

ونخص بالذكر الأسباب الداخلية و نجملها فيما يلي:

1. لم تستطع المقاومة الشعبية التونسية الصمود أمام القوات الفرنسية نتيجة للتفوق العسكري الفرنسي قابله قلة الخبرة العسكرية والتقنية لدى الجانب التونسي الذي اعتمد مقاومته على أسلحة قد تجاوزها العصر لذلك فشلوا في صد العدوان الفرنسي لضعف الإمكانيات القتالية.[2]
2. غياب التخطيط والتنظيم في صفوف المقاومين،بالإضافة إلى انقسام القيادات[3] فقد حاول علي بن خليفة النفاتي أن يوحد القيادة في شخصه، و اجتمع لهذا الغرض مع مجاهدي صفاقس و القيروان، ليعرض عليهم الأمر،لكنهم أعرضوا عن ذلك وأبى كل زعيم أن يتولى قيادة قبيلته بنفسه، فاستطاعت فرنسا أن توقع بهم واحد تلو الآخر جراء هذا التفكك القيادي في المقاومة.[4]

---

[1] شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح العثماني إلى الوقت الحاضر، ليبيا تونس الجزائر المغرب الأقصى (مراكش)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات/ 2007 ص 309.

[2] محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 43.

[3] عبد الكريم دلباش، الحركة التحررية في تونس (1881-1956)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستير في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي(غيرمنشورة) كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية،قسم التاريخ، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (2012-2013)، ص 44.

[4] محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص 128.

3. تأثير محمد الصادق باي و أعوانه تأثيرا سلبيا على المقاومة بعد خضوعه للمستعمر ووقوفه بجانبه ضد المقاومة الوطنية و مده للفرنسيين المعلومات و الأدلاء العارفين بمخابئ البلاد و طرقاتها و هذا دليل على خيانته لشعبه و مماليكه.[1]
4. الاستيلاء الفرنسي على عدة مناطق بعد فشل المقاومة التي انتشرت عبر البلاد التونسية و خاصة الجنوب، فقام ببسط نفوذه عليها و تركيز حامياته بالتراب العسكري[2]، فأبى أغلب التونسيين للخضوع و الاستسلام للفرنسيين و قبول بالأمر.[3]
5. استسلام العديد من المدن كبنزرت و القيروان و الكاف و باجة و غيرها... للعدو دون مقاومة و بالتالي لم تصمد هذه الأخيرة في الوقوف ضد قوات الاحتلال الفرنسي، و لم تلق سلطات الحماية مقاومة تذكر في تونس العاصمة باستثناء بعض المحاولات التي أظهرها العربي زروق رئيس بلدية الحاضرة، و قد ذكرت السلطات العسكرية الفرنسية أن معظم المدن الساحلية كسوسة و المنستير و المهدية هي الوحيدة التي لم تقاوم الاحتلال بالساحل على عكس المدن بالجنوب كمدينتي صفاقس و قابس التي قاومت الفرنسيين بعنف و دون استسلام[4]، إلا أن المقاومة التونسية أدركت مدى خسارة المناطق التي احتلت بالشمال و الجنوب و الساحل.[5]
6. تواطؤ بعض مشايخ الطرق الصوفية مع المستعمر الذين أطلقوا الحرية للمستعمر على الدخول للبلاد التونسية، فلم تكن المقاومة بتونس للاحتلال بالجهاد ضد النصارى فبعض الطرق الصوفية التي كانت تنادي لم تتصادم مع المستعمرين كما فعل قادور

---

(1) محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 43.

(2) التراب العسكري: وهي تسمية أطلقتها سلطات الاحتلال على الجنوب وأقصى الجنوب التونسي ويضم التراب العسكري عملات: ورغم، مطمامة، نفزاوة، أنظر، التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص166.

(3) التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 166.

(4) علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 55.

(5) الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 222.

الميزوني شيخ الزاوية القادرية بالكاف، و كان المساعد الأيمن للهيمنة الفرنسية على المدينة.[1]

7. ضعف الجانب العسكري و قد صرح الوزير خير الدين التونسي الذي حصر جهود الجند في شن غاراتها على الحدود الجزائرية الليبية، و خروج الجند عن طاعة الباي الذي تخلف عن صرف مرتبات الجند و بذلك تناقص دوره المنوط بعهدته في الداخل الخارج ولم يستطع الجند عند دخول فرنسا تأمين متطلبات الحياة، فكيف له أن يؤمن الدفاع عن البلاد؟ و بذلك انضم للمقاومة عدد قليل من حيث العدد و التعداد.[2]

[1] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 57.

[2] الشيباني بنبلغيت، المرجع السابق، ص ص 210،211.

المطلب الثاني: على المستوى الخارجي

على الرغم من عفوية المقاومة التونسية و وطنية مقاومتها فقد اعترضتها جملة من المشاكل أدت إلى تقهقرها ، و من أسباب فشل المقاومة على المستوى الخارجي نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. **عدم وصول المد العثماني:** إن عدم وصول المد العثماني و الذي كثر الحديث عنه وعن وصول قوات عثمانية من طرابلس الغرب بأمر من الحكومة العثمانية المتواجدة بطرابلس هذا جعل السكان ينظمون إلى المقاومة خاصة في الجنوب التونسي، لكن عدم وصول المدد جعل الثوار يواجهون عدوا يفوقهم عددا و عدة بمفردهم.[1]
2. **هجرة سكان تونس إلى ليبيا:** عرفت المقاومة في السنة الأولى 1881 هجرة قيادها الذين تمكنوا من تنظيم صفوف المقاومة، لكن هجرة السكان على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية أدى ذلك إلى حدوث مناوشات بين الطرابلسيين و المهاجرين على مياه البادية و تسبب ذلك في حدوث صدامات أسفرت عن موت عدة أشخاص، مما أدى إلى إشعال نار حامية و كاد الأمر إلى أن تتطور إلى حرب بين الأشقاء لولا تدخل العقلاء لحلها، و قد غذى جواسيس فرنسا تلك الخلافات و بذلك تناسى بعض المهاجرين الرجوع إلى تونس و الانضمام للمقاومين.[2]
3. **خضوع الجزائر للاستعمار الفرنسي:** لقد استثمرت الحكومة الفرنسية تواجدها بالجزائر حيث حشدت قواتها من الجزائر(عنابة) في حملتها الأولى خلال أفريل 1881 على تونس، بالإضافة إلى ذلك لم تتمكن الجزائر من تقديم الدعم المادي للمقاومة التونسية واقتصر الدعم الجزائري في محاولات محدودة اقتصرت على مجهودات فردية[3]

---

[1] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 166.

[2] محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص ص 327،328.

[3] شوقي عطا الله الجمل،المرجع السابق،ص306.

المبحث الثاني: انعكاسات فشل المقاومة الشعبية المسلحة

المطلب الأول: عوامل ظهور المقاومة السياسية

1. العوامل الداخلية:

- **فشل العمل المسلح:**

لقد رسخت فكرة عدم وجود جدوى من العمل المسلح لدى سكان تونس الذين نفذت قواهم القتالية و أصبحت جل مخططاتهم مكشوفة للعدو.

يرجع علي داهش بوادر ظهور الحركة الوطنية أو العمل السياسي إلى تاريخ 1884م وقد تطور الوعي الوطني التونسي نتيجة تأثر التونسيين بعوامل داخلية تمثلت في السياسة الاستعمارية الفرنسية و تبعاتها على سكان تونس، بالإضافة إلى تأثرهم بعوامل خارجية تجلت في الحركة الإصلاحية بالمشرق العربي، كل هذه العوامل جعلت التونسيين يغيرون وسيلة كفاحهم الذي يخفى وراء جمعيات و نوادي نشاطها الثقافي الذي ظهر لأول مرة على يد الوزير خير الدين التونسي الذي أنشأ بدوره المدرسة الصادقية[1]، و الجمعية الخلدونية عام 1897م، وكان الفضل لهما في تثقيف التونسيين الذين اهتدوا إلى العمل السياسي.[2]

- **ظهور الحركة الإصلاحية:**

على غرار الحركة الإصلاحية لخير الدين التونسي فقد ظهرت حركة إصلاحية أخرى في تونس على يد الشيخ محمد السنوسي بعد فشل العربي زروق في حركته الاحتجاجية ضد الباي، و خلال فترة ما بين 1884/12/06 إلى 1885/01/04 قاد السنوسي رفقة 3000 تونسي الحركة و توجهوا لمقابلة "علي باي" حين احتجوا على الحكم المباشر، و تجاوزات السلطات الاستعمارية.

---

[1] المدرسة الصادقية: تأسست في 13 جانفي 1875 و تشكلت لجنة لإعدادها قانونها الأساسي تحت إشراف الوزير خير الدين تونسي، و اهتمت بتعليم اللغات و العلوم التكنولوجية، أنظر: يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 20.

[2] محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 44.

وقد حملوا عريضة تشمل مطالب اجتماعية ممضاة من طرف سكان تونس إلى الباي الذي تعاطف معهم ،وحمل طلباتهم للسلطات المحتلة التي عملت على إبعاد السنوسي عن تونس، و بعد سنتين من نفيه إلى مصر تولى القيادة بعده الشيخ المكي بن عزوز فنشر دعوة لمقاومة الجامدين الذين كانوا سببا في عرقلة الإصلاح و قد كون مجموعة الشباب التونسي كما أشرنا إليها مسبقا من أجل مقاومة الاستعمار الفرنسي و إفشال كل مساعيه، إلا أنه كتب عليه تلقي نفس مصير محمد السنوسي و هو النفي إلى المشرق العربي.[1]

لذلك لم يكتب لهما تكوين تيارات سياسية، لكن أفكارهم بقيت ،و تباناها مجموعة من الشباب الوطني على رأسهم عبد العزيز الثعالبي و اجتمع تلاميذ الشيخ المكي بالثعالبي وكونوا جريدة ناطقة بالفرنسية للدفاع عن مصالح تونس، وتسمى "المستقبل" وكذلك "حبيب الأمة" و "سبيل الإرشاد"، و بعد عودة محمد السنوسي من منفاه دعا إلى تكوين حركة العروة الوثقى.[2]

- **ظهور الصحافة:**

أ. **جريدة الحاضرة:**يعود تأسيس الجريدة إلى مجموعة من الشباب التونسي، و التي ظهرت بتاريخ 3 أوت 1888م و صدرت باللغة العربية، تولى إدارتها علي أبو شوشة[3]،واتخذ مقر اجتماع أعضاء العروة الوثقى مقر للجريدة، و تمثل نشاطها في إصدار حملات تنديدية ضد السلطات الاستعمارية التي حاولت القضاء على كيان ومقومات التونسيين. ولم يقتصر دور محرري الجريدة على التنديد بالسياسة الفرنسية الاستعمارية فقط بل اهتمت بالشؤون الثقافية و الاجتماعية لتونس و يتضح ذلك من

(1) علال الفاسي، المرجع السابق، ص 47.
(2) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 31.
(3) علي أبو شوشة، (1859-1917) من أصل جزائري، استقر ببنزرت من خريجي الزيتونة و الصادقية، درس بانجلترا وبعد عودته عين كاتبا عاما للحكومة التونسية، أنظر: يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 30.

خلال خبر وفاة الشيخ "محمد بيرم الخامس" في عددها 74 الصادر في تاريخ 24 ديسمبر 1889م، و قد أثنت الجريدة بمجهودات هذا الأخير و اعتبرته صاحب الفضل في الدفاع عن المقاومة التونسية من خلال إصدار الشيخ جريدة "الاعتدال" التي دعا من خلالها الشعوب الإسلامية إلى توحيد الصف و الانضمام للمسألة التونسية، بالإضافة إلى فضله في تأسيس المستشفى الصادقي لما حملت عليه الجريدة في صفحاتها التعريف بمسيرة الشيخ.[1]

و قد اهتمت الجريدة بالشؤون السياسية ،حيث حصلت صفحاتها إحدى خطابات المقيم العام الفرنسي الذي ألقاه على أعضاء الجمعية الشورية الفرنسية الذي فأشار فيه إلى استغلال ثروات القطر التونسي، كما دعت إلى تحرير التجارة و الصناعة من الأيدي الأجانب، و ثمن أعضاء الجمعية على الحركة الاستدمارية في كل من إفريقيا و آسيا.

و قد استنكرت الجريدة من خلال ذلك الخطاب المقيم العام و حالة الترف لأعضاء الجمعية مقارنة بحالة التونسيين.[2]

ب.جريدة الزهرة: صدرت بتاريخ 1890م لكن لم تكن بنفس صدى جريدة الحاضرة[3]اقتصر نشاط محررها "عبد الرحمن الصنادلي" الذي تكون بمصر و تأثر برجالها و أخذ منهم فركز على اهتمامه في ذكر الأخبار الوطنية و نقد الإدارة الفرنسية[4]، و إظهار تجاوزات السلطة الفرنسية و خرقها لما جاء في بنود معاهدة

---

[1] محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار، ج 4، 5، ط 1، دار صادر، بيروت 1303هـ، ص 348.

[2] محمد رشيد رضا، تونس خطاب المقيم العام، م1، ع10، مجلة المنار الشهرية، مصر، 1315ه-1316ه، ص 180.

[3] شاوش حباسي، **"محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية 1914-1920م"**، مجلة الدراسات التاريخية،ع 7، معهد التاريخ، الجزائر 1993م، ص 142.

[4] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 32.

الحماية و تعدي سلطتها على الحقوق السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للتونسيين.[1]

- **تأسيس الجمعيات:**

1) تأسيس الجمعية الخلدونية:

تأسست هذه الجمعية عام 1896م بدعوة من زعيم الحركة الإصلاحية التونسية "البشير صفر"[2] الذي اقترح تأسيسها، و التي عمل من خلالها على مساعدة خريجي طلبة الزيتونة من أجل تحسين مستواهم و حثهم على دراسة العلوم الدينية و الدنيوية وحصول المتفوقين على إجازة علمية لمتابعة تعليمهم خارج تونس بالمدينة المنورة.

و قد كان للجمعية دور ثقافي و بعد سياسي إذ ساهم البشير صفر من خلال هذه الأخيرة على إلقاء الدروس و المحاضرات، و قد ألقى محاضرة بحضور المقيم العام "بيشون" و دعا من خلال محاضرته إلى طرح مجموعة من الإصلاحات لخدمة التونسيين ممّا أثار حفيظة بعض المعمرين[3]، و كانت الجمعية الخلدوينة ذات نزعة إسلامية عملت على نشر الفكر القومي كما تأثرت بأفكار الجامعة الإسلامية و اهتمت بعدة دراسات منها الأخبار، الأدبيات، التاريخ و التعليم و الاقتصاد.[4]

كما أسهمت دروس الخلدونية في بلورة الوعي الوطني لدى الشباب التونسي الذي اطلع على حقوقه و واجباته، و الحق في تقرير المصير، وهذا ما كان يخشاه المعمرون الذين كثفوا ضغوطاتهم عليها حتى تراجع نشاطها، و لذلك لجأت النخبة

---

[1] شاوش حباسي،"**محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية1914-1920**"،المرجع السابق، ص 142.

[2] البشير صفر: (1865-1917) تركي الأصل ولد بتونس، درس بالمدرسة الصادقية ،له العديد من المحاضرات أهمها: ظهور الإسلام و انتشاره، بداية الخلافة الإسلامية و تنظيمها، كما له الفضل في تأسيس الجمعية الخلدوينة، أنظر: الصادق الزملي، أعلام تونسيون تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص 126-128.

[3] Habib Boularés , Histoire de la Tunnise, 2 éd, créés Edition, Tunis, 2012, P : 518

[4] يوسف مناصريه، المرجع السابق، ص 31.

التونسية إلى بعث جمعية بديلة لمواجهة العدو فكان لها أن تأسست جمعية قدماء الصادقية.[1]

2) **ظهور جمعية قدماء الصادقية:**

تأسست هذه الجمعية بتاريخ 23 ديسمبر 1905م نتيجة تواصل النشاط الإصلاحي والثقافي، و قد أسندت رئاسة هذه الجمعية إلى "خير الله بن مصطفى"[2]، بينما تولى "علي باش حامبة"[3] مهمة الإشراف على معظم نشاطاتها، فكانت بمثابة الجامعة الشعبية الداعية إلى الأخذ بالأفكار العصرية من خلال إلقاء المحاضرات و تناول النقاشات التي أخذت بعدا سياسيا و عملت الجمعية على كشف الجوانب السلبية للاستعمار بتونس، كما عملت أيضا على تنمية الروح الفردية و الوعي الوطني للتونسيين.[4]

- **إلقاء الدروس و الخطابات:**

- خطاب البشير صفر 24 مارس 1906م الذي ألقاه بمناسبة تدشين مأوى للعجزة،و ذلك بحضور المقيم العام الفرنسي "بيشون" و قد نبه البشير فيه بتردي أوضاع تونس في مختلف الميادين[5] و لاسيما الجانب الاقتصادي نتيجة المزاحمة الأجنبية، و دعا إلى دعم اليد العاملة المحلية نظرا للمتطلبات الجديدة.

---

[1] محمد الهادي الشريف، ما يجب أن يعرف عن تاريخ تونس، تر: محمد شاوش و محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 113.

[2] خير الله بن مصطفى: (1867-1965)، أجنبي الأصل بدأ دراسته الابتدائية بمدينة سوسة و أنهاها بتونس، تحصل على شهادة الدراسات العسكرية ،ثم عين أستاذا بالمدرسة الحربية بباردو، كما أسندت إليه مهمة لرئاسة الجمعية بعد وفاة حامبة، كان من أوائل الأعضاء بجريدة التونسي، أنظر: الصادق الزملي، المرجع السابق، ص 319-223.

[3] علي باش حامبة: (1879- 1918) درس بالزيتونة و المدرسة الصادقية و المعاهدة الفرنسية و عاد فتوظف في العدلية.وكان له ضمير وطني ،فاشترك في تأسيس جمعية قدماء تلامذه الصادقية،وكان يحمل فكرة الإصلاح في نفسه فأسس جريدة التونسي ،وساهم في أحداث طرابلس سنة2011،فنفته فرنسا .فذهب إلى الأستانة ،وقضى حياته في الدفاع عن وحدة المغرب العربي،أنظر:يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص36.

[4] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 36،37.

[5] عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 10.

كما نخص بالذكر تدهور أوضاع سكان الأرياف نتيجة استيلاء المعمرين على أخصب الأراضي، كما قام بتقديم جملة من الاقتراحات منها ما يتعلق بنشر التعليم و بالأخص التعليم المهني لتمكين التونسيين من مزاحمة الأوروبيين، وأوصى الفلاحين و نادى بتشريكهم في مشاريع إحياء الأرض.

وقد أثار خطاب البشير حفيظة بعض المعمرين الذين عملوا على تهميش النخبة التونسية و إبعادها عن العاصمة نظرا لخطورة أفكارها و مدى تأثيرها على مكانة المعمرين وإمكانية ضرب النخبة لاقتصادهم.[1] الداعية إلى الإصلاح على يد "جمال الدين الأفغاني"[2]، بمجرد عودة السنوسي من منفاه بمصر عمل على نشر أفكاره الإصلاحية التي استنبطها من حركة العروة الوثقى التي أسسها "محمد عبده"[3] و الأفغاني.[4]

- **عقد المؤتمرات:**

1) عقد مؤتمر هرتسيليا:

انعقد هذا المؤتمر يوم 05 سبتمبر 1906 بمرسيليا ،و نظم من طرف جمعية الاتحاد الاستعماري الفرنسي التي حرصت من خلاله على التعريف بأهم القضايا المطروحة في المستعمرات الفرنسية و البحث عن حلول لها.

---

(1) خليفة الشاطر وآخرون،المرجع السابق،ص67.

(2) جمال الدين الافغاني: (1839-1897) من قرية أسعد أباد عاش حياته تأثرا على الأوضاع الفاسدة داعيا إلى الإصلاح متحدي أهل الظلم و الاستبداد مجاهد في سبيل حرية الإنسان و كرامته، توفي في إسطنبول 09 مارس 1897 أنظر: محمد الصالح الصديق، شخصيات و مواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص 159-161.

(3) محمد عبده: (1849-1905) من أعلام النهضة الإسلامية و أحد قادة الفكر العربي و وطني مخلص أعطى الوطنية حقها، عاش حياته خادم للإسلام رافع لواء القيم الروحية ناصر للحق، أنظر: محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 263-266.

(4) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص ص 34،35.

لقد حضر هذا المؤتمر مجموعة من الشباب التونسي صاحب الثقافة المزدوجة من بينهم محمد الأصرم[1] الذي طرح فكرة مداخلة تتعلق بالبلاد التونسية، تناول فيها وسائل التقارب بين الحامي و المحمي و ألح على سياسة الاشتراك ليثير مسألة المساواة بين الطرفين و دعا إلى مساهمة التونسيين في الهياكل التمثيلية.

و بهذا شهد الوجود الفرنسي بالبلاد التونسية ظهور حركة مناهضة له بادرت في فترتها الأولى بالقيام بعمل نخبوي تمثل في تقديم مطالب ثقافية و اجتماعية سرعان ما أخذ نشاطها بعدا سياسيا.[2]

2. العوامل الخارجية:

- **حركة العروة الوثقى:**

تأسست هذه الحركة سنة 1883م على يد الشيخ محمد السنوسي الذي عمل على نشر مبادئ الحركة التي طورها خلال وجوده في منفاه، و قد بين أهدافها الرامية إلى تحرير العالم الإسلامي و توحيده، فلقي من خلال طرحه لهذه الفكرة استجابة الأوساط التونسية التي انضمت إلى العروة الوثقى، و كافحت في سبيل نشر مبادئها فكان أول عمل للحركة إصدار مجلة "العروة الوثقى" التي ربطت الصلات النضالية بين المشرق والمغرب، كما تأثر السنوسي بأفكار" محمود عبده" أثناء نفيه بمصر حيث احتك بهذه الحركة.

وجاء في هذه الجريدة المطالب التونسية، وهي إعادة لما نادى به البشير في خطاب 24 مارس 1906م حين طالب بمالي: (نرجوا أن تعهد فرنسا انسجاما مع تقاليدها و مثلها العليا الديمقراطية أن تمنح التعليم المجاني الابتدائي).[3]

---

[1] محمد الأصرم: (1858-1925) ينحدر من أسرة عريقة أصيلة القيروان، و بعدما انتهى من برنامج تعليم المدرسة الصادقية اتجه إلى فرنسا لإتمام دراسته ثم عاد لتونس لتعزيز صفوف النخبة، كان يتمتع بمواهب و يمتاز بعلمه الجاد المنظم و أفكاره الواضحة، كما عين معلما بالمدرسة العلوية، أنظر: الصادق الزملي، المرجع السابق، ص 177-179.

[2] حسيبة طيبوتي و نور الهدى زوبة، المرجع السابق، ص 27.

[3] خليفة الشاطر و آخرون، المرجع السابق، ص 70.

كما طالب أيضا بضمان تغطية اجتماعية وبناء قضاء عادل لإرساء حياة سياسية تمكن التونسيين من ممارسة حقوقهم عن طريق تمثيل شعبي منتخب و هيا كل دستورية.

وعبرت الجريدة بلهجة معتدلة بالمصير الذي حددته السلطة الفرنسية للمسلمين فأدان محررها المظالم و الامتيازات و عدم المساواة و طالبوا بحق الأهالي في التعليم وممارسة الوظائف الإدارية و المساهمة في اتخاذ القرارات الحكومية بواسطة مجلس منتخب.[1]

- **موقف سلطة الحماية:**

لقد ندد المقيم العام الفرنسي بالنيابة "فيكتور دي كريناز" بما جاء في الحركة و في برنامج الجريدة و اعتبر ذلك نهاية للحضور الفرنسي في تونس فطالب بقمع الحركة وإجهاض مساعيها، فقام برد فعل تمثل في تنظيم اجتماعات شعبية لنقاش مسألة منح الجنسية لليهود التونسيين لاستمالتهم لسلطة الحماية.[2]

المطلب الثاني: حركة الشباب التونسي

منذ مطلع القرن العشرين تكونت أول التنظيمات الوطنية نتيجة تبلور الوعي الوطني التونسي، و قد تأسست هذه الحركة في الفترة الواقعة ما بين (1907-1912) كأول تنظيم سياسي على يد جماعة من الشباب عملوا على تنظيم العمل الوطني.[3]

و قد كان للمصلح المصري "محمد فريد" الذي زار تونس الفضل في توحيد الصف التونسي و الذي دعا النخبة المثقفة إلى تجاوز خلافاتها الثقافية و مواجهة الاستعمار الفرنسي الذي راح يستثمر في الخلافات القائمة بين أصحاب الثقافة العربية و المثقفين

---

(1) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 493.

(2) محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 114.

(3) غيلان سمير طه التكريتي، الحركة الوطنية التونسية، مجلة آداب الفراهيدي، ع 13، 2013، ص 188.

ثقافة فرنسية، و بذلك بدأ الوعي لدى الشباب يتجه إلى توحيد الصفوف و تنظيم العمل السياسي للعمل في إطار الحزب الواحد.

و قد تأسست هذه الحركة على يد جماعة من الشباب مثلهم علي باش حانبة و أخيه محمد باش حانية و عبد العزيز الثعالبي[1]، و كانت ضربة موجعة للاستعمار الفرنسي من طرف التونسيين[2] و كانت الحركة دفعا جديدا لتنظيم الأحزاب السياسية التي ستتشكل في المستقبل، و أقل عمل قامت به الحركة هو إصدار جريدة التونسي.[3]

- **جريدة التونسي:**

كانت ثاني جريدة وطنية تصدر باللغة الفرنسية بعد جريدة "بريد تونس" للثعالبي تأسست هذه الجريدة بتاريخ 07 فيفري 1907م أصدرها علي باش حانبة[4]و عهد إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي برئاسة تحرير نسختها بالعربية، كانت تضمن عددها الأول افتتاحية بقلم علي باش حانبة تحت عنوان "برنامجنا" قدموا فيه مطالب الحركة فتناولوا المسائل التي طرحها البشير صفر.[5]

تطور برنامج الجريدة مع الزمن خاصة في ميدان التعليم، حيث اهتمت بمسألة تعليم الذكور و الإناث مجانيا و إجباريا[6]، كما قامت بإعداد برامج أخرى منها السياسية والاجتماعية و الاقتصادية و انظم إليها أغلب الشباب و ساندها الشعب و تضامن معها الثعالبي للعمل مع علي باش حانبة في حركة تونس الفتاة[7]، و من هنا بدأت الحركة

---

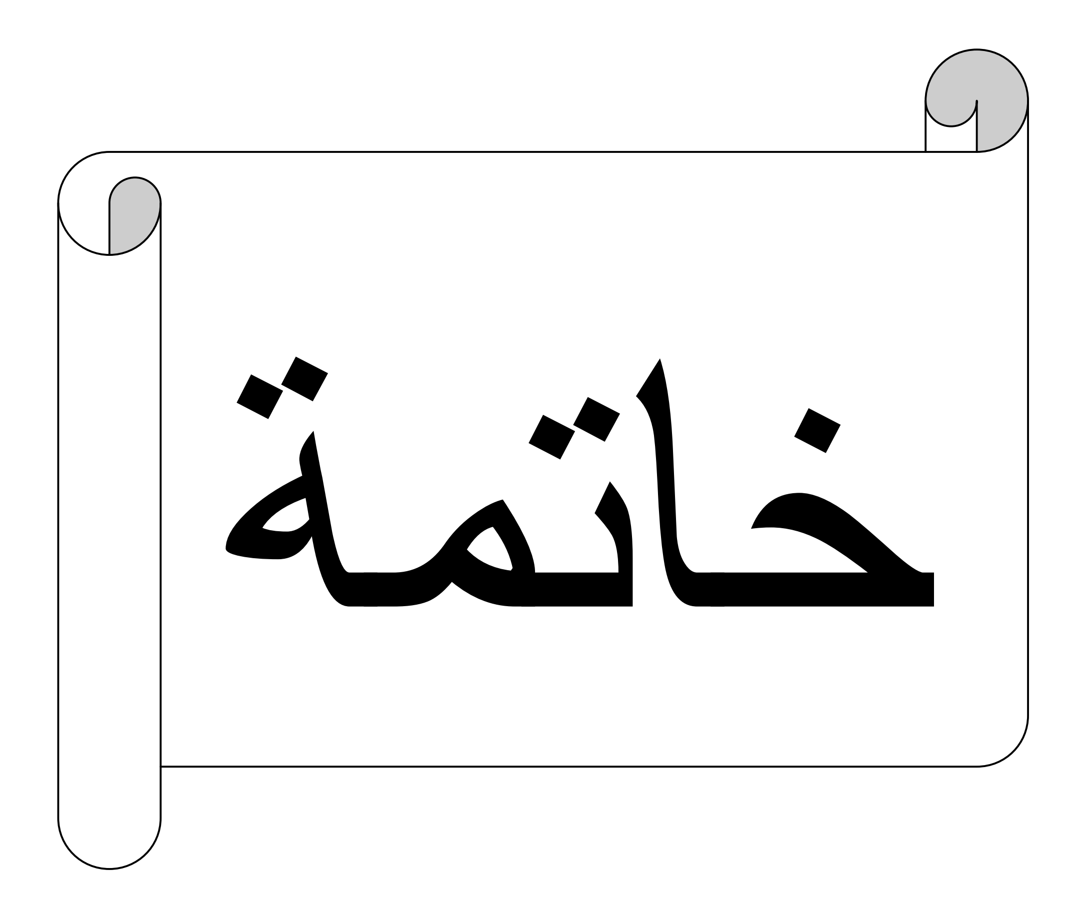
[1] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 38.
[2] شايب قدادرة، المرجع السابق، ص 56.
[3] عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 10.
[4] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 40.
[5] حسيبة طيبوتي و نور الهدى زوبة، المرجع السابق، ص 29.
[6] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 40.
[7] شايب قددارة، المرجع السابق، ص 56.

الوطنية التونسية تأخذ منعرجا آخر، فبينما كان عملها ممزوجا بالإصلاحات الدينية والاجتماعية و الفكرية.

إلا أن موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية قامت باعتراضها من قبل الصحافة الفرنسية و على رأسها جريدة "المعمر" الفرنسية التي شنت حملة إعلامية ضد محررها قد ادعت هذه الأخيرة بأنهم لا يتمتعون بالإنسانية و الأخلاق[1] لكن هذا لم يمنع محرريها من مواصلة كفاحهم.[2]

[1] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص ص 40،41.

[2] للمزيد حول جريدة التونسي، أنظر الملحق رقم 5،ص82.


خاتمة

خاتمة

ومن خلال دراستنا لموضوع المقاومة الشعبية المسلحة في تونس خلال الفترة الممتدة ما بين (1881-1907م) خلصنا إلى نتائج التي نجملها فيمايلي:

1-إذا كان الاحتلال الفعلي لتونس يرجع إلى تاريخ 1881 فإن المتتبع لتاريخ تونس في الفترة الحديثة والمعاصرة،يجد أن ذلك الاحتلال قد قام على مؤامرات دولية تجسدت في مؤتمر برلين 1878،والذي سمح لفرنسا بالإنفراد بتونس ضمن ما يصطلح عليه بالمسابقة الدبلوماسية قابله تواطؤ تونسي مثله الباي،وبعض الطرق الصوفية،وقد توجهت الحكومة الفرنسية احتلالها لتونس بإقدامها على إبرام معاهدة باردو1881،والمرسى1883،لتثبت للرأي العام مشروعيتها في تسيير شؤون تونس واحتلالها فيما بعد.

2-لقد لقي نظام الحماية الفرنسية بتونس ظهور مقاومة شعبية مسلحة،أعلن سكانها رفضهم للتواجد الفرنسي ،وعدم الخضوع للسياسة الفرنسية،وقد ظهرت طلائع المقاومة في الجبال والبوادي والأرياف،بفعل الحمية القبلية للقبائل ،والتي تدعوهم للتضحية في سبيل الدفاع عن الدين والشرف والأرض،لذلك فقد كان لقبائل جلاص وخمير ونفات بالغ الأثر في حركة المقاومة.

3-تفاوتت فاعلية المقاومة عبر مختلف جهات التراب التونسي،وقد توصلنا إلى أن المقاومة كانت أكثر فاعلية بالشمال لنزول قوات المحتل،غير أن سكان بنزرت والكاف وباجة قد أظهروا استسلامهم لقوات المحتل ،ولم نجد أي مقاومة تذكر بتونس العاصمة مقر الأسرة الحسينية التي أعلنت موالاتها للفرنسيين ،باستثناء محاولة "العربي زروق"،كما أن سكان المدن الساحلية:المنستر،سوسة،المهدية لم يولوا للمقاومة أي أهمية تذكر للمقاومة ،وقد استسلم بعض سكان القيروان لحفاظهم على المعالم التاريخية الإسلامية لمدينتهم ،وعلى خلاف ذلك فقد أظهر كل من سكان صفاقس وقابس بطولاتهم وفاعليتهم في مقاومة المحتل.

4-حققت المقاومة الأهداف التي قامت لأجلها،وهي العمل على عرقلة تقدم الاستعمار الفرنسي وسياسته عبر مختلف جهات التراب التونسي ولو لفترة مؤقتة ،لكن لم تستطع المقاومة التونسية إنهاء الوجود الفرنسي على الرغم من كل ما حققته بعد أن استنفذت جميع وسائل كفاحها

5-واجه الثوار في مقاومتهم جملة من العراقيل حالت بينهم وبين تحقيق ما كانوا يصبون إليه

واضطرارهم لمجابهة الباي الذي اعتبر المقاومة انتحار لسكان تونس،الذي قام بإجهاض مساعي المقاومين،فنحن لسنا في مقام يسمح لنا بإدانته أو إنصافه ، باي،وبذلك فإن أوضاع تونس فقد أملت عليه مهادنة الفرنسيين ليأمن شرهم ،لكن يبقى التاريخ يدينه،ويعتبره المسؤول عن ضياع تونس.

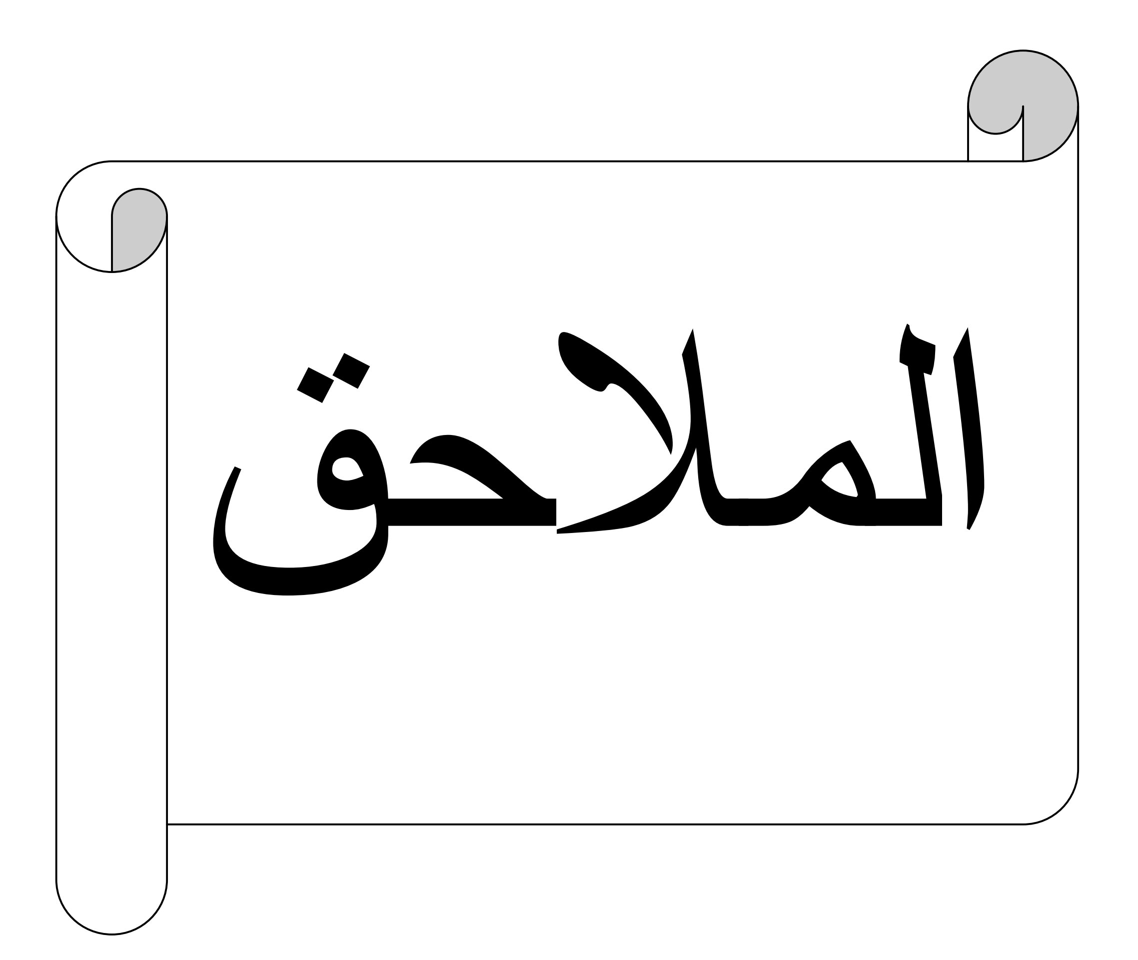
6-لقد اختلفت المواقف من المقاومة على المستوى الداخلي والخارجي،غير أن المقاومة لم تحضى بالدعم الكافي،في ظل غياب الدعم العثماني،باعتبار هذه الأخيرة كانت في حالة ضعف،لذلك عملت للحفاظ على إيالة طرابلس وغضها النظر عن تونس،ولم يختلف موقف سكان الجزائر كثيرا عن الموقف العثماني والذي اقتصر على مجهودات فردية تعوزها قوة السلاح،ومرد ذلك وضعية الجزائر التي كانت محتلة ،وعلى خلاف ذلك فقد تسنى لحكومة طرابلس فتح منافذها البرية للتونسيين،حيث نظموا صفوف مقاومتهم فوق الأراضي الليبية.

7-إن استنفاذ المقاومة المسلحة لأغراض كفاحها المادية والمعنوية وعوامل داخلية وخارجية كانت سببا في ظهور المقاومة السياسية بتونس،وبعد أن تمكن الثوار المجاهدين من تمهيد الطريق للمناضلين السياسيين،وبذلك ظهرت أول حركة إصلاحية على يد محمد السنوسي

وظهور الصحافة ومنها جريدة الحاضرة(1888م)والتي عمل محرريها على استخدام سلاح القلم للتنديد بالسياسة الاستعمارية،نهيك عن ظهور الجمعيات،ومنها الجمعية الخلدونية (1896م)والتي كان لها دور كبير،بالإضافة إلى إسهامات محاضرات البشير صفر عام(1906م)فعملت هذه الأخيرة على إذكاء الروح الوطنية للشباب التونسي،إضافة إلى مؤتمر هرتسيليا، على الرغم من أن جميع أصحاب الثقافة المزدوجة إلا أنه طرح أهم المشاكل الموجودة في المستعمرة الفرنسية بتونس،كما أن العوامل الداخلية غذتها عوامل خارجية وبالتالي ساهمت في ظهورها إذ كان لظهور حركة العروة الوثقى بتونس(1883م)سوى نتيجة لتأثرات الحركة المشرقية على تونس والتي دعت إلى توحيد الصف الإسلامي في تونس.

8-ظهرت المقاومة السياسية بتونس عام(1907م)على يد مجموعة من الشباب التونسي آمن بفكرة العمل السياسي المنظم لمجابهة العدو الفرنسي بعد ظهور الحركة الإصلاحية الاجتماعية والثقافية،وقد أفرزت المقاومة السياسية عن ظهور خيرة من الشباب المناضلين ومن بينه "علي باش حانبة"و"عبد العزيز الثعالبي"،وغيرهم من المناضلين الذين كان لهم الفضل في ظهور العمل السياسي لتظهر حركة الشباب التونسي عمم(1907م)كأول حركة وطنية تونسية كان لها دور في تأسس هذه الحركة التي كان لها هي الأخيرة دور آخر في ظهور العمل السياسي في إطار الحزب المنظم،وهذا ما يعبر من خلال ظهور أول حزب وطني وهو "حزب تونس الفتاة1908م".

نأمل أننا قد وفقنا في دراسة بعض جوانب وحيثيات المقاومة الشعبية التونسية،وأننا لم نقصر في حقها،وفي مقاوميها ونحن على دراية بوجود بعض الثغرات،وهذا أمر طبيعي لأن البحث الأكاديمي لا يخلو من النقائص و الثغرات والتي عادة ما تكون نقطة اهتمام الباحثين والدارسين،ونأمل أن نجد لها مكانة بين جدران مكتبتنا الجامعية.


الملاحق

الملحق رقم 01

بنود معاهدة باردو:

البند 1: أن معاهدة الصلح والصداقة والتجارة، وجميع المعاهدات الأخرى القائمة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند 2: لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها الوصول للغرض الذي يقصده الجانبان الساميان المتعاقدان، فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية مراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية وتقرران معا أن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتاب الأمن والنظام.

البند 3: تتعهد فرنسا ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي، وحمايته، من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته، أو يعبث بمملكته.

البند 4: تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين الدولة التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند 5: يمثل فرنسا لدى سمو الباي وزير مقيم عام، تكون وظيفته السهر على تنفيذ أحكام هذه المعاهدة، ويكون هو الواسطة بين فرنسا والسلطات التونسية في جميع القضايا التي تهم الجانبين.

البند 6: يكلف الدبلوماسيين والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها، وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذو صبغة دولية دون إعلام الدولة الفرنسية والحصول على موافقتهما مقدما.

البند 7: تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي بنفسهما بحق الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية، من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند 8: تفرض غرامة حربية على القبائل العاصمة بالحدود والسواحل، وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بينهما، وتكون حكومة الباي هي المسؤولة عن تنفيذ هذا الاتفاق.

البند 9: لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر، فإن دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربية بجربة والمرسى وقابس، والمراسي الأخرى بالمملكة التونسية.

البند 10: خاص بالتوقيع: على أن فرنسا لم تكتف بالقيود التي فرضتها معاهدة باردو [1].

- قصر السعيد 12 ماي 1881
- محمد الصادق باي/ الجنرال بريار

---

[1] صلاح العقاد، المغرب العربي"دراسة في تاريخه الحديث و أوضاعه المعاصرة (الجزائر،تونس،المغرب الأقصى)، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت، ص ص 190 – 191.

الملحق رقم 02

بنود معاهدة المرسى:

- لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجهة إلى تحسين الأحوال الداخلية بالمملكة التونسية، وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي 1881 وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموه توثيقا لعرب المودة بين القطرين العامرين، اتفق الطرفان على عقد اتفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بريار وبول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي أقدم أوراق اعتماده لعقد الاتفاقية المحددة في البنود الآتية:

البند الأول: لما كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها، تكفل بإدخال الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني: تضمن الحكومة قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوزه 17.550.000 فرنك ولكنها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسية دون إذن من الحكومة الفرنسية.

البند الثالث: يخصص سمو الباي المعظم من مداخيل المملكة أولا: المبالغ الملازمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا ثانيا: تخصصات سمو الباي وقدرها مليون من الريالات التونسية (1.200.00 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع: هذه الاتفاقية على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن إيذانا بصحة ما تقدم حررت هذه الاتفاقية وختمها الموقعان بخاتمتهما [1]

كتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء: علي باي - بول كامبون

---

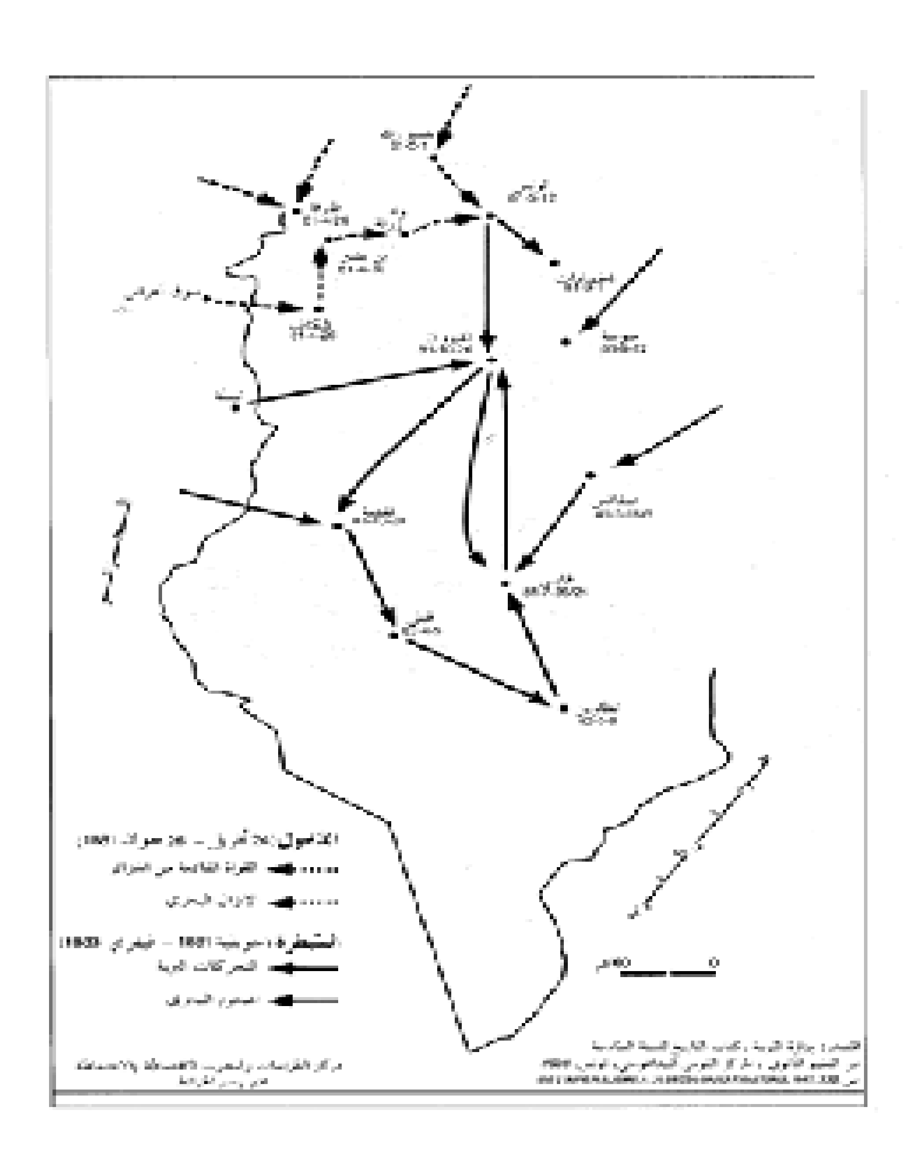
[1] خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ "الحركة الوطنية ودولة الإستقلال"، ج3، د.ط، مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، تونس،2005 ، ص22.

الملحق رقم 03

نزول قوات الاحتلال الفرنسي بتونس(1881-1883)

وتوزعها بكامل التراب التونسي [1]

تحركات قوات الاحتلال (1881 -1882)

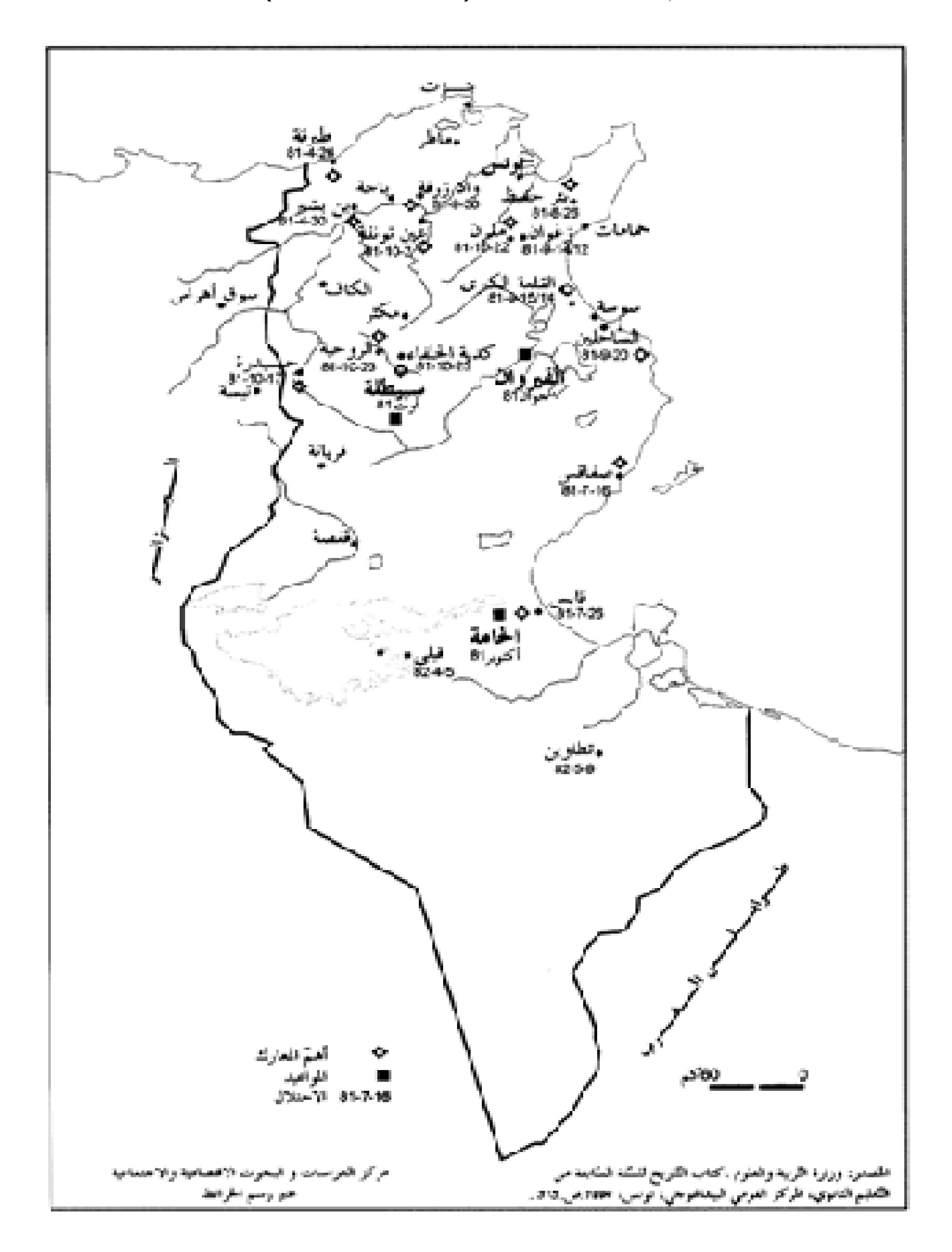


(1)خليفة الشاطر وآخرون،المرجع السابق،ص19.

الملحق رقم (4)

أشهر المعارك بالشمال والوسط والساحل و الجنوب التونسي(1881-1882) [1]

أهم معارك المقاومة (1881 – 1882)



---

[1] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق ص 25.

الملحق رقم (5) جريدة التونسي

إن جريدة "التونسي" هي أول جريدة فرنساوية أنشأها التونسيون في الإيالة... و سيكون "التونسي" لسان حالهم ختى يحين اليوم الذي تمنحهم فيه الحماية رفع أصواتهم بالدفاع عن حقوقهم أمام مجلس نيابي.

فهذه الجريدة الني نديرها و نحررها ستكفل لقراءها بالتعريف بأفكارنا و بحسن نوايانا نحو الوطن و ساكنيه و لذلك كتبت على نفسها (...) أن تقاوم بأصدق لهجة كل مظلمة و اعتداء يحيطان بمواطنينا بدون أن تسعى في إخفاء معايبهم، و ستبذل أقصى ما يمكن من الجهد في درس المشاريع التي تهم الأهالي بأدق طريقة، و كذا كلما يعود بالنفع على جميع الأهليين لهذه الديار

(....) و سنضع في مقدمة مطالبنا مسألة التعليم العام التي يتوقف عليها حياة أو موت التونسيين إذ يؤلمنا كثيرا أن ترى تسعة أعشار مواطنينا لا يزاولون تائهين في فدافد الجهل بعد مضي نحو ربع قرن على الاحتلال الفرنسي و إن إصلاح التعليم بكيفية تلاءم حالة الشعب قد أصبح محتما، و على فرنسا الديموقراطية أن تراعي شعائرها و أميالها الحرة في جعل التعليم الابتدائي مجانا و جبريا في جميع أنحاء المملكة.

كما أننا سينشغل بعرض مسألة تسهيل أسباب مزاولة العلوم الثانوية على الحكومة الحامية و مطالبتها بتنشيط نخبة التلامذة الذين ظهر اجتهادهم و تأكد تحصيلهم على مزاولة العلوم العالية لتتم لنا بهذه الطريقة تربية أجيال أكفاء... لذلك يتحكم علينا أن نطلب بأشد لهجة نسخ القرارات الصادرة بشأن حرمان الأهالي من الدخول في الامتحانات التي تهيئهم للمناصب الدولية و التي لم تبق لهم سوى بعض الخطط الصغيرة مثل الترجمة و الحجابة إذ لا مسوغ لهذا مسوغ لهذا الحرمان الذي أصيب به مواطنينا.

أما ما يتعلق بالحالة الاقتصادية فإننا سنحث الحكومة على الاهتمام بنشر التعليم الصناعي و الزراعي بين طبقات العملة الأهليين لأن بلاد مثل بلادنا فتحت من جديد للحركة الاقتصادية يجب أن تكون لأهاليها الرتبة الأولى في إيجاد المصنوعات و غيرها.

و ليس ذلك ليثننا عن التفكير في أحوال الفلاحين في أهل البادية و هم أفقر الطبقات و أشدها عوزا و احتياجا للمساعدات و أجدر بالرحمة و الإسعاف العامة بإحداث مستشفيات و تعيين أطباء معاونين من شبان الأهالي و تأسيس صناديق احتياطية مع عدم إغفال نشر التعليم بينهم و تعميم العدل فيهم و التماس التساهل في معاملة الإدارات لهم.

و نلتمس من الحكومة أن تسمح لصغار الفلاحين الوطنين ابتياع الأراضي الدولية على نسبة تعينها الإدارة التي لها النظر في ذلك و أن تنشأ لهم مراكز فلاحية بإزاء المراكز الاستعمارية التي للأوروبيين....

<< مقتطفات من افتتاحية العدد الأول من جريدة Le Tunisien "التونسي" 07 فيفري 1907م بقلم علي باش حانبه [1]>>

---

[1] خليفة الشاطر وآخرون،المرجع السابق،ص71.

ببيليوغرافيا

1.المصادر:

1. بيرم، محمد الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج4،5،ط1، دار صادر، بيروت، 1303ه.

2. ثامر، الحبيب، هذه تونس، تق: الرشيد إدريس، تح: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

3. الثعالبي، عبد العزيز، تونس الشهيدة، تق: سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت 1960.

4. الفاسي، علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، مطبعة الدراسة، القاهرة 1948.

2.المراجع:

. باللغة العربية:

أ- **كتب:**

1. بنبلغيت، الشيباني، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي(1881،1956)، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة الوطنية التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

2. الجمل، شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح العثماني إلى الوقت الحاضر "ليبيا تونس، الجزائر، المغرب(مراكش)"، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2007.

3. الجمل، شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث" ليبيا، تونس الجزائر،المغرب الأقصى"، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.

4. الخراشي، سليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1420ه.

5. بن خوجة، محمد، صفحات من تاريخ تونس، تق: حمادي الساحلي؛ الجيلالي بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

6. داهش، محمد علي، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، د.ط، منشورات الكتاب العرب، دمشق، 2004.

7. درمونة، يونس، تونس بين الاتجاهات، د.ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1953.

8. درمونة، يونس، تونس بين الحماية والاحتلال، د.ط، دار اليقظة العربية، دار الكتابات بالدار البيضاء، دمشق، مراكش، د.ت.

9. الذوادي، الزهير، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي،د.ط، دار سراس للنشر، تونس،1995.

10. زيادة، نيقولا، تونس في عهد الحماية، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

11. السرجاني، راغب، قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، ط1، أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432ه-2011م.

12. الشابي، عرفة، رائد النضال القومي في العهد الحفصي، د.ط، الدار العربية للكتاب تونس، 1982.

13. الشاطر، خليفة، وآخرون، تونس عبر التاريخ "الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3 د.ط، دار سراس للنشر، تونس، 1986.

14. الشريف، محمد الهادي، مايجب أن يعرف عن تاريخ تونس، تع: محمد شاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

15. الصديق، محمد صالح، شخصيات ومواقف، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.

16. الطويلي، أحمد، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس، د.ط، سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992.

17. عبيد، أحمد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية "الجزائر، تونس، المغرب"، د.ط، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2010.

18. العجيلي، التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1936،1881)، م3، د.ط، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1998.

19. العربي، إسماعيل، المدن المغربية، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

20. العقاد، صلاح، المغرب العربي" دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)"، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

21. ابن العقون، عبد الرحمان، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر(1945،1936)، ج2، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

22. القصاب، أحمد، تاريخ تونس المعاصر(1956،1881)، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة الوطنية التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

23. المحجوبي، علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن ضو وآخرون، د.ط، دار سراس للنشر، تونس، 1986.

24. المرزوقي، محمد، صراع مع الحماية، د.ط، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.

25. مناصرية، يوسف، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين(1919، 1934)، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2013.

. باللغة الفرنسية:

- Habib, Boularès, Histoire De La Tunisie,2 Ed, Cérès Edition, Tunis, 2012.

ب- الدوريات:

1. التركيتي غيلان، سمير طه، " **الحركة الوطنية التونسية** "، مجلة آداب الفراهيدي، ع13، 2013.
2. حباسي، شاوش، " **فرض الحماية الفرنسية على تونس ورد فعل التونسي (1881، 1883)**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع8، معهد التاريخ، الجزائر، 1994.
3. حباسي، شاوش،" **محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية1914-1920**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع7، معهد التاريخ، الجزائر، 1993.
4. رضا محمد، رشد، " **تونس(خطاب المقيم العام)**، م1، مجلة المنار الشهرية، ع10 مصر، 1315ه،1316ه.
5. عصفور سلمان، محمد، " **الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوروبي منها**"، مجلة ديالا، ع56، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق،2012.
6. قرين، آرنولد، " **العلماء التونسيون وانتصاب الحماية الفرنسية بتونس (1881، 1892)**"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع1، تونس، جانفي 1974.

7. قرين، آرنولد، " **سياسة فرنسا الإسلامية بتونس (1881، 1918)**"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع3، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 1975.

ث. الرسائل الجامعية:

- دلباش، عبد الكريم، الحركة التحررية في تونس(1881، 1956)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي(غير منشورة)، إشراف: عاشور محفوظ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي،الشلف،نوقشت2012،2013.

- طيبوتي، حسيبة، وزوبة، نورالهدى، تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية (1904، 1919)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي (غير منشورة)، إشراف: بليلة عبد اللطيف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، نوقشت 2014، 2015.

- عسول، صالح، اللاجئون الجزئريون ودورهم في ثورة (1956، 1962)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث (غير منشورة)،إشراف: يوسف مناصرية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، نوقشت 2008، 2009.

- قدادرة، شايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعبي الجزائري(1934، 1954) دراسة مقارنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة) إشراف: عبد الكريم سكفالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، نوقشت 2006، 2007.

ج.**المحاضرات:**

- البكوش، الهادي، المقاومة في تونس ضد الإستعمارمن في1881إلى1964، (محاضرة) ألقيت على طلبة الحقوق، بجامعة صفاقس – تونس 2003، 2004.

ح.الموسوعات و القواميس:

- الخطيب، مصطفى بن عبد الكريم، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، ط1، مطبعة الرسالة، بيروت، 1416هـ-1996م.

- الزركلي، خير الدين، الأعلام " قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين"، د.ط، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992.

- الزملي، الصادق، أعلام تونسيون، تع:حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1986.

- الشيخ، أبو عمران، معجم مشاهير المغاربة، د.ط، منشورات دحلب، الجزائر،2000.

- الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج1،7،2، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1994.

ملخص:

تطرقنا في دراستنا لموضوع المقاومة الشعبية المسلحة في تونس خلال الفترة الممتدة (1881–1907) والتي رفضت إنتصاب الحماية الفرنسية، والتي كانت بتاريخ 12 ماي1881 بالإشارة إلى قيام المقاومة التونسية بداية من الشمال التونسي مرورا بجهة الوسط والساحل، والتي كانت مقاومتها بالجنوب التونسي، كما نوهنا على إختلاف ردود الفعل من المقاومة على المستوى الداخلي والخارجي، وقد ختمنا دراستنا بإستعراض أسباب فشل المقاومة المسلحة وظهور المقاومة السياسية لتكون حركة الشباب التونسي التي تأسست 1907 وهي أول حركة سياسية.

Abstract:

We discussed in our study to the subject of armed popular resistance in Tunisia during the period (1881-1907) , which rejected the erection of the French protectorate , And that was on 12 May 1881 by reference to the Tunisian resistance beginning of the Tunisian north through the region of the center and the coast, Which it was the resistance in southern Tunisia , as we noted the difference in reactions of resistance to internal and external level, Our study has conclision review the reasons for the failure of the armed resistance and the emergence of political resistance to be Tunisian youth movement , which was founded in 1907 , the first political movement.

المحتويات: **الصفحة:**